

المقطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٢٣

شيموع مذهب النشوء

مقنطفة من خطبة الرئاسة التي القاها الاستاذ جورج دارون في مجمع ترقية العلوم
البريطاني بجنوبي افريقية

لا نعلم ما اذا كان القرن الماضي يُعدُّ في المستقبل قرن العجائب والغرائب باكتشافاته
واختراعاته او انه مقدمة لقرون اخرى اعجب منه واغرب . والحق يقال ان العلوم والمعارف
تقدم الآن تقدماً مدهشاً فلا تكاد سنة تمر الا ونرى عجيبة جديدة من عجائب الاكتشاف
والاختراع . وسواء كان تغير الحوادث والاحوال التي تقع تحت حواسنا سريعاً او بطيئاً فانه
حلقة من سلسلة طويلة من تغيرات طرفها الازل والابد . ولا شيء تراح اليه النفس مثل
درس العلل والمعلولات او الاسباب والنتائج في سلسلة الحوادث التي تكون منها تاريخ الارض
وما عليها من الاحياء وبسط الآراء عما تاول اليه الحيوانات والسيارات والشموس والكواكب .
وعليه فسأبسط في خطبتي هذه بعض هذه الآراء المتعلقة بمذهب النشوء والارتقاء
عموماً فاقول

بين من يعتقد بمذهب النشوء والمؤرخ فرق بين . فان الاول يستنتج تاريخ الماضي
من ادلة الحاضر واما الثاني فيمتاز عنه بان تاريخ الماضي مدون امامه فينبغي عليه ويستند اليه .
ولا ينكر ان تمييز الحق من الباطل في التواريخ المتناقضة يقتضي نظراً دقيقاً ونقداً صحيحاً
فاذا اجتمع ذلك في المؤرخ لم يبق امامه سوى ان يحول هيكل الوقائع والحوادث التي امامه
الى جسم حي باللباس لحم البواعث والمقاصد البشرية . فيلزم ان يكون المؤرخ من خبر الناس
ودرس اخلاقهم واطلع على احوالهم
اما الاول فله وظيفتان ادناها وظيفة قاضي التحقيق الذي يجمع وقائع الجناية في

مخيلته مما يراه ويستنتجه. واعلاهما وظيفة رجل تحرر من ربة المصطلحات والسلمات البشرية
وتصوراً اموراً جديدة لم تخطر على بال انسان قبله. ولا بد له في كل حال من ان يفرض
علة للأمر التي امامه. والفرق بين صاحب النظر الصائب وبين المتسرع الذي يفرض
لكل معلول علة سواء اصاب او لم تصب انما هو في دقة النظر وبعدد وهذا ما يصير
به الاول قليلاً نادراً والثاني كثيراً شائعاً

والحك الذي تعرف به صحة المذهب العلمي عدد الحقائق التي يجمعها وتنطبق عليه.
وشرطه ان يرشد الى حقائق جديدة لم تكن معروفة قبلاً والى علاقتها بعضها ببعض. فالذهب
الوجيه اشبه بدائرة معارف يمكن توسيعها باضافة مجلدات كثيرة اليها الى ما لا حد له. ولا
يكاد يوجد بين المذاهب ما هو صحيح برمته وكثير منها ليس فاسداً كله. وقد يكون المذهب
فاسداً في جوهره متصدعاً من اساسه ولكنه يدل على طريق الصواب فلا يجدر بنا من ثم
ان ننبد احد مذهبين متضادين بدعوى تضادها اذ لا يبعد ان يتضمن كل منهما حقائق
جديدة بالمعرفة. والمذاهب التي سأسطها الآن قد تلوح متناقضة في ما لدينا من نور المعرفة
فلا نحجم البتة عن تتبعها الى نتائجها المنطقية معتمدين على ما يجده من الاكتشاف في المستقبل
لنبذ الباطل والتوفيق بين الحقائق التي تتألف منها

على ان الذين ليس لهم قدم راسخة في العلم يخلطون بين مذهب النشوء بنوع عام ونشوء
انواع الحيوانات المختلفة بعضها من بعض ويحدثونك عنهما كما لو كانا اسمين لشيء واحد.
ثم يخلطون بين نشوء انواع الحيوانات وبين الانتخاب الطبيعي ويعدونهما واحداً. ولكن
الراستخين في تاريخ التصورات العلمية يعلمون ان مذهب نشوء الطبيعة بما فيها من حي وجماد
مذهب قديم جداً

ومثل الحقائق التي بنيت مذاهب النشوء المختلفة عليها مثل عرمة من الخرز والجرع بخار
النائد البصير منها بعضاً لشبه يراه بينها وينظمه في سلك واحد فيخرج منها عقد منتظم. وكانت
مذاهب النشوء المختلفة الى عهد قريب متقطعة غير كاملة وحلقاتها قصيرة غير متأسكة حتى
ظهر مذهب الانتخاب الطبيعي وابان السبب في اختلاف انواع الاحياء المتعددة عن الاصل
الذي اشتقت منه فكان للعالم الطبيعي من ذلك واسطة لنقد الحقائق التي امامه وتبني
صحيحها من فاسدها بعض التمييز وراى النظام سائداً حيث ظن أولاً ان الفوضى ضاربة
اطناها. ولكن تنظيم تلك العرمة كلها وترتيب احادها بحيث لا يبقى اثر للفوضى بينها قد يقصر
دونه علم الباحث وهمته

وليس غرضي الآن ان ابحث في مقدار التغيير الذي طرأ على مذهب الانتخاب الطبيعي منذ وضعه ابي وولس ولوان مبدأه العمومي من المبادئ الراسخة . بل ان ابين اوجه الشبهة بين عالم الاحياء وعالم الجماد من حيث مذهب النشوء والارتقاء . ومما يحسن بي ذكره ان البارون كارل دي بريل سيقني الى الكلام في هذا الموضوع منذ سنة ١٨٧٣ فوضع كتاباً موضوعه "تنازع البقاء في الافلاك"

من المعلوم ان مادة الجماد تتحرك بقوات ابسط جداً من القوات التي تخضع لها مادة الحي ولكن القضايا التي تعرض للعالم الطبيعي والعالم الفلكي لحلها ليست امهل مراساً من القضايا التي تعرض للعالم البيولوجي فان سر الحياة لا يزال بعيداً عن الحل كما كان منذ القدم والبيولوجي لا يحاول تفسير ماهية الحياة نفسها بل يبحث في علاقة الحيوانات بعضها ببعض وبالوسط المحيط بها . اما العالم الطبيعي فمضطرب ان يرثي الآراء في ما بين اجزاء المادة من القرابة ويسعى في ضم تاريخ السيارات والكواكب والسدم الماضي الى تاريخها المستقبل وهو والعالم الفلكي ليسا الا مبتدئين ومع ذلك فقد اهتمت الدنيا الى امور كثيرة ساذكر بعضها الان

اهم ما في مذهب الانتخاب الطبيعي بقاء انواع الحيوانات التي تصلح للاقامة في الوسط المحيط بها وفناء الانواع التي لا تصلح لذلك . والتنازع على البقاء بين الحيوانات التي يختلف بعضها عن بعض من هذا القبيل هو السبب في تحوّل الانواع تحوّلًا بطيئًا . وهذا ما يجري في عالم الجماد ايضاً وان كنا لا نعبر عنه بعبارة واحدة . وايضاً لذلك اورد مثلاً من النظم السياسية السهلة مأخذها بالنسبة الى القضايا الطبيعية فاقول

يعبر عن علاقة الناس بعضهم ببعض ومعاملتهم بعضهم لبعض في مجتمع واحد بكلمات مصطلح عليها مثل المملكة والحكومة وما شاكلهما . والحكومات تختلف اختلافاً عظيماً في نظاماتها وازكائها ونوع احكامها فمنها الحكم المطلق ومنها المقيّد ومنها الجمهوري وكلها تدل على التدخل في افعال الناس ومعاملاتهم . وعليه يمكن تحديد الحكومة بانها اسلوب منظم للمعاملات والتأثير افعال الناس بعضهم ببعض . والتاريخ السياسي يبحث في التغير البطيء الذي طرأ على الحكومات واكتشاف ما وجد منها اصلح من غيره للبقاء

ونرى البيولوجي يسمي الحيوانات التي تحافظ على كيانها بالانواع . والعالم الطبيعي يحدثك عن الاشكال الثابتة وانواع الحركة والسياسي عن الحكومات . والمبدأ الذي هو قاعدة هذه التصورات كلها الثبات او القدرة على مقاومة الانحلال . وبعبارة أخرى ان ثبات او بقاء نوع من انواع الحي او شكل من اشكال الجماد او حكومة من الحكومات يتوقف على درجة

صلاحيتها للبقاء وقدرتها على تكيف نفسها طبقاً للتغير الذي يطرأ على الوسط المحيط بها والذي يراجع تاريخ بلاد من البلدان يرى درجة ثباتها متغيرة تغيراً بطيئاً على الدوام فتعلو تدريجاً حتى تبلغ اعلاها ثم تهبط تدريجاً حتى الحضيض فيعقب هبوطها ثورة ويعقب الثورة حكومة ذات نظام جديد . وهذه الحكومة الجديدة او الحركة الجديدة تكون متقلقة قليلة الثبات في بادئ الامر ولكنها تاخذ تقوى وتشد في دورها وتزيد ثباتاً حتى تبلغ اشدّها ثم تضعف رويداً وتهبط تدريجاً ويجري بها ما جرى بنظام الحكومة الاولى

وهذه الازمات في التاريخ السياسي قد تقضي الى حالة لا تستطيع حكومة البقاء عندها بالتغير من صورة الى اخرى . وهذا يحدث اذا أفنت قبيلة متوحشة قبيلة اخرى واتخذت من بقي منها ارقاء واجلتهم عن بلادهم فان شكل الحكومة الاولى ينقرض ويفنى بفناء القبيلة والعالم الطبيعي يرقب نتيجة تغير الاحوال الخارجية مثل البيولوجي والمؤرخ فيرى قوة الثبات تحط تدريجاً حتى تزول ثم يعقب زوالها ما يسمى في التاريخ السياسي بالثورة

فهذه الاعبارات تحملني على الريب في ما اذا كان البيولوجيون مصيبين في ظنهم ان الانواع متصلة التحول من حال الى حال . واذا اتخذنا التمثيل قياساً لنا وجب ان ننظر حدوث تغير بطيء متصل في زمن مديد يعقبه تغير فجائي الى نوع جديد او انقراض سريع . ومهما يكن من ذلك فانه اذا ضعف ثبات شكل من اشكال الحركة في عالم الجماد فلما ان يتحول الى شكل جديد اثبت منه واكثر ملائمة للاحوال المتغيرة او ينقرض . ثم ان معظم الاحياء التي انقرضت لاتزال محفوظة متحجرة في الطبقات الجيولوجية . وانواع الحكومات المنقرضة مدونة في بطون التواريخ فيتخذ البيولوجي تلك الطبقات اساساً لاجاثه والسياسي تلك التواريخ مشكاة يهتدي بها واما العالم الطبيعي فيقدم على البحث ولا اساس يعتمد عليه ولا مشكاة يستضي بها

والوقت الذي يقتضي لتحول انواع الحيوان يقاس بالادهار والعصور لا بالسنين والشهور ومثل هذا يقال في التغيرات التي تطرأ على الكواكب والاجرام السماوية . واما الوقت الذي يقتضي لتحول شكل من اشكال الجواهر والدقائق التي تتألف المادة منها الى شكل آخر فقد يكون جزءاً من مليون جزء من الثانية فلا يدركه الوهم لقصره . ومع ذلك التفاوت العظيم في الوقت فان العمل واحد في جوهره

هذا ولا يستبعد انه اذا عرفت الاحوال التي تصير فيها الحركة ثابتة منتظمة بالدقة والضبط عرفنا ايضاً تاريخ تكوين العالمين في الماضي ومصيرها في المستقبل ولكننا بعيدون

الآن مراحل كثيرة عن ذلك كما يتضح مما يأتي

هذا وان من اقدم المذاهب ان المواد كلها على تعدد انواعها من اصل واحد وعليه حاول اصحاب الكيمياء في العصور الوسطى تحويل المعادن الدنيا ذهباً وكانوا يظنون ان العقبة الوحيدة في هذا السبيل اكتشاف الطرق الكيماوية الملائمة التي توصل الى تلك النتيجة . ونحن وان كنا نعلم الآن انهم كانوا بعيدين عن غرضهم بعد الارض عن السماء ولكننا لا نكر عليهم انهم مهدوا السبيل للكيمياء الحديثة . وقد كان غرضهم حلّ جواهر عنصر من العناصر الى الاجزاء التي يتركب منها ثم تركيبها ثانية لتخرج جواهر ذهب . ولم يهتد كيماء هذه الايام بعد الى الخطوة الاولى في هذا السبيل وهي حلّ العناصر ولكن مباحثهم ازاحت الستار عن تركيب الجواهر بحيث صرنا نعلم ماذا ينبغي ان نفعل لتحويل العناصر وما التغيرات المختلفة التي تحدث من نفسها في الاورانيوم والراديوم وما شابههما سوى مظاهر من مظاهر حلّ العناصر وتحولها من نفسها على الراجح

وقد يلوح لاول وهلة ان الانتخاب الطبيعي لا علاقة له البتة بمذهب الكيماءين هذا ولكن حلّ العناصر وتحولها يتوقفان على عدم ثبات الجواهر اولا ثم استرداد ثباتها ثانية . وبقاء الجواهر الثابتة يتوقف على مبدأ الانتخاب الطبيعي . وكان الكيماءيون يعتقدون منذ عشر سنوات ان العناصر الكيماوية متعددة ضرورة حتى لقبوا بالجواهر الفرد الجزء الذي زعموا انه لا يغير من المادة فكنت تراه لا يتحدثن الا عن الجواهر الفرد وكانت الكيمياء الحديثة كأنها بنابة من الجواهر الفردة . ولكن لنارد ورتيجن وبكريل وكوري ولارم وطمسن وكثيرين غيرهم اثبتوا بمباحثهم ان الجواهر الفرد متجزئ فكشف الستار بذلك عن تركيب المادة الحقيقي . اثبتوا ان الجواهر الفرد مؤلف من اجزاء عديدة وان جوهر الهيدروجين ايسط الجواهر مؤلف من نحو ٨٠٠ جزء وان الجواهر من العناصر التي هي اكثف منه مؤلف من عشرات الالوف من الاجزاء . وقد سمي الجزء منها كرية او الكتروناً ويمكن وصفه بقولنا انه ذرة من الكهربائية السلبية . ومن الغريب ان العالم الطبيعي يعلم عن هذه الالكترونات ما لا يعلم عن الجواهر الفردة وعدّها اسهل من عدّ الجواهر الفردة

ولما كانت هذه الالكترونات مكهربة كلها سلباً فانها تدفع بعضها بعضاً كما تندافع شعرات الراس اذا مشطت بمشط اسود . ولا يعلم بعد لماذا لا يخلّ الجواهر والالكترونات التي يتألف منها متدافعة بسبب كهربائيتها السلبية فلا بد من وجود كهربائية ايجابية او ما يفعل فعلها في الجواهر لمنع انحلاله . اما كون الجواهر مؤلفاً من الالكترونات سلبية فأمر مؤكد وهذه

الالكترونات تحرك بسرعة تفوق سرعة النور فان سرعتها ٢٠٠ الف ميل في الثانية ومنذ سنة صنع طمس آلّة كهربائية تمثل الالكترونات في الجوهر وفحص خصائصها فحسباً بالطرق الرياضية . وهي مؤلفة من كرة مكهربة بالكهربائية الايجابية تمثل الجوهر الفرد وضمنها الف او الوف من الذرات مكهربة بالكهربائية السلبية وهي تدور في دوائر منتظمة بسرعة عظيمة وهذه الذرات تمثل الالكترونات . ولما كانت كهربائيتها من نوع واحد فانها تدافع ولكن الكرة تجذبها كلها لان كهربائيتها من نوع آخر

وقد ظهر من هذه التجربة ان تحرك الالكترونات في دوائر ذات نظام محدود لازم لثبات حركتها . ولكن عدد الالكترونات في الجوهر ليس محدوداً فقد يمكن زيادة عدد قليل منها بغير ان يتشوش نظامها في الجوهر وبالتالي نظام الجواهر الاخرى المرتبطة به كما انه يمكن زيادة سيار صغير او عدة سيارات صغيرة على النظام الشمسي ولا ينشأ عن ذلك خلل في موازنته ولا اضطراب في حركته ولكن لا يمكن زيادة عدد كبير منها لان ذلك يفضي الى وقوع خلل في مجموعها كما لو زيد على النظام الشمسي مئة سيار يساوي مجموعها حجم المشتري فان ذلك يحدث اضطراباً فيه لا تحمد عواقبه . وهكذا يمكن ان تضاف الكترونات قليلة الى الجوهر او تطرح منه من غير ان يقع خلل في نظامه ومن غير ان يفضي الى تحوّل العناصر

ويمكن اجتماع الالكترونات بعضها مع بعض على صور شتى فتكون ثابتة جداً او قليلة الثبوت او بين بين فيدور الالكترون في مجتمعاتها الوفاً من الدورات قبلما يبدو عليه عدم الثبوت . وجوهر مثل هذا يبقى ملايين من الدقائق ولكن لا بد من تمزقه اخيراً وتفرق الالكترونات او عودها الى الانتظام بعد ما يفقد بعضها . ولذلك يظن ان العناصر الكيماوية البسيطة هي الاجسام التي اجتمعت الكترونات جواهرها وانتظمت بعضها مع بعض وثبتت امام ما انتابها من النوائب في جهادها لاجل البقاء . وان كان الامر كذلك فيكاد يستحيل ان تكون الانواع التي نجحت في هذا الجهاد ازلية ولا بد من انها تكونت في احوال مخصوصة

ولكن ان لم تكن العناصر ازلية فهل من دليل على انها ابدية . ان انحلال العناصر وتلاشيها او تحوّلها من نوع الى آخر امور بقي الكيماويون يحكمون باستحالتها الى عهد قريب ولكن قياس التمثيل يدل على ان العناصر ليست ابدية

ومهما يكن من ذلك فتتبع ما يطرا على الجوهر الذي صنعه طمس مثلاً للجوهر الفرد لا يخلو من الفائدة فان النواميس المتسلطة على الكهربائية تدل على ان الجوهر يشع من قوته او يفقد بعضها رويداً رويداً ولا بد من ان يأتي وقت تنفذ قوته فيه ومتى جاء هذا الوقت

ببغيل الى جوهر يكتفي بقوة اقل من القوة الاولى التي كانت فيه . ويطن الاستاذ طمس
انه يمكن ان يصنع جوهر بطي الانحلال حتى يبقى مليون سنة ولكنه لا يمكن ان يكون ابدياً
فهذه النتيجة تناقض تمام المناقضة كل ما كان معروفاً عن العناصر الى عهد حديث اذ لم
يكن هناك علامة تدل على انحلالها . وزد على ذلك ان العناصر التي يتألف النظام الشمسي
منها لا بد ان يكون قد مر عليها ملايين من السنين وهي على تلك الحال . ومع ذلك فان
هناك ما يحتمل على الظن ان ما نراه من الانحلال والتركيب في الراديووم والعناصر الاخرى
التي لها جواهر كثيرة التركيب مثله انما هو من قبيل تحول العناصر

والاكترونات على غاية من الصغر وقد ابان اللورد كلفن انه اذا كبرت نقطة ماء حتى
صارت بحجم الارض بلغ حجم كل دقيقة من دقائقها (جواهر المادة) حجم كرة كالشمسة .
وكل دقيقة مؤلفة من ثلاثة جواهر فردة اثنين من الهيدروجين وواحد من الاكسجين فهي
مثل النجوم المجمعة ثلاثة ثلاثة يدور بعضها حول بعض في دوائر لا تعرف تماماً . ولا يعلم
مقدار الحيز الذي تشغله هذه الجواهر بالنسبة الى ما تشغله الدقيقة كلها وجهد ما يقال انه
ربما كانت نسبة الحيز الذي يشغله الجوهر الى الحيز الذي تشغله الدقيقة كنسبة الحيز الذي
تشغله الدقيقة الى نقطة الماء ومثل ذلك يقال في نسبة الاكترونات الى الجوهر

قلت ان الجواهر الثلاثة من الهيدروجين والاكسجين في دقيقة الماء تشبه المجاميع المؤلفة
من ثلاثة نجوم ولكن من الدقائق ما فيه خمسون جوهرًا او مئة جوهر فهي مثل المجاميع
الكبيرة الكثيرة النجوم

واحوال الدقائق مثل احوال الجواهر فان الدقائق الكيماوية مؤلفة من جواهر مختلفة
وهي على درجات متنوعة من الثبوت . ولا تكون الجواهر منفردة واذا استفردتها الكيماوي لم تلبث
منفردة الا دقيقة من الزمان وبعضها لا يستفرد مطلقاً ولذلك فالتحليل والتركيب عملاقان
مستمران في العالم كله . والمركبات التي هي اثبت من غيرها تحفظ كيائها في هذا الوجود اكثر
من غيرها كأنها تفوز على غيرها في تنازع البقاء وهي اكثر الموجودات وجوداً كملح الطعام
ومركبات السليكون ولكن لم يجد احد منجماً من قطن البارود لان هذا القطن قليل المقاومة سريع
الانحلال فاذا تركبت دقيقة منه بواسطة من الوسائط الطبيعية العرضية كانت حياتها قصيرة جداً
ثم ان ثبوت المركب يدل على مناسبة الاحوال له ومناسبتة لها فالملح مؤهل للبقاء على
الارض لان احوالها مناسبة لبقائه ولكنه لا يستطيع البقاء على سطح الشمس لانه
لا يحتمل حرارتها

الذهب

خطب المستر بيلي رئيس قسم الكيمياء في مجمع ترقية العلوم البريطاني خطبة موضوعها الذهب أكثرها علمي كياوي لا يلد جمهور القراء ولا يفيدهم ولكن فيها حقائق كثيرة بوذ كل احد ان يطالعها من قلم كياوي مجرب من ذلك : —

ان العناصر البسيطة كثيرة تبلغ ثمانين عنصراً ثلاثها نافع او علم نفعه والثالث غير نافع او لم يعلم نفعه حتى الآن واذا استثنينا العناصر اللازمة لتكوين جسم الانسان فانفع العناصر له واكثرها دخلاً في شؤونه المختلفة الحديد والذهب

ولقد تطلب الناس الذهب من اول عهد العمران وضخوا في سبيله كل مرتخص وغال وبذلوا كل وسيلة للحصول عليه اما من معادنه او من الناس الذين وجدوه عندهم فارقوا الدماء وبذلوا المهج في هذا السبيل . وعصر الذهب ليس العصر الذهبي لان هذا الاصفر البراق فلما يمثل غير المطامع والمتاعب

ولما ارتقت الصناعة ونقست الاعمال وبطلت المقايضة وقع الاتفاق بين الناس على جعل الذهب مقياساً وممثلاً للقوى والممتلكات فزاد ذلك في ارتفاع الصناعة والتجارة حتى بلغنا ما بلغناه ولما كان الذهب يصوّل من التراب كان العثور عليه من قبيل الاتفاق فقد يعثر عامل على شذرات كبيرة منه في بضعة ساعات وقد يقضي الايام والشهور ولا يجد منه شيئاً يذكر ولا ينقطع عن طلبه مهما تجشم من المشاق لان الكسب الذي يأتي بالصدفة غرّار فهو كالمضاربة او كعب القمار . ثم وجدوا ان الذهب قد يكون مختلفاً بعض الصخور فجعلوا يستحقونها ويمزجونها بالزئبق فيمزج الزئبق بالذهب ويصير معه ملغماً ثم يحمون الملمغ فيطير الزئبق ويبقى الذهب . وهذه هي الدرجة الثانية وكانت تستعمل حينما كانت مناجم الذهب سطحية ثم لما عمقت حار سحق الحجارة التي فيها الذهب صعباً جداً ولا يستخرج كل الذهب منها فصار تحمي حتى يسهل سحقها . ولم تصلح طريقة استخراج الذهب اصلاحاً كبيراً الا منذ بضع عشرة سنة حين استعمل مذوب سيانيد البوتاسيوم لاذابته فشاع استعماله في كل مناجم الذهب وصارت طريقة استخراج علمية قانونية واستخدم له اناس من اكبر علماء الكيمياء

وقد وجد بالامتحان ان ماء البحر لا يخالو من الذهب وبين الاستاذ لفرس دج ان في الطن من ماء الاوقيانوس نحو قمحة من الذهب ففي الكيلومتر المكعب سبعة آلاف كيلو غرام . ولا نقطة من ماء البحر الا وفيها ملايين كثيرة من دقائق الذهب وعليه فالسفن التي تجري فيه

انما تجري في بحر من الذهب ودقائق الذهب تمس كل جزء من سطحها الغائص في الماء في كل لحظة من سيرها . ولكن استخراج الذهب من ماء البحر أكثر نفقة من ثمنه اي لا يستخرج ما يساوي ديناراً الا بعد ان ينفق على استخراج اكثر من دينار فكل الذين يزعمون انهم الفوا شركات لا استخراج الذهب من ماء البحر انما هم يخدعون الناس ليسلبوا اموالهم ودقائق الذهب صغيرة جداً فاذا اذيبت قحمة ونصف قحمة منه في الطن من الماء ففي كل مليمتر مكعب من ذلك الماء ٦٥٠٠ مليون دقيقة من دقائق الذهب واذا غرزت ابرة في هذا الماء غطى رأسها ١٥٠٠ دقيقة من دقائق الذهب واذا بسطت هذا الماء على ارض مساحتها ١٦٨٠ ميلاً مربعاً انبسط الذهب عليها كلها حتى لا يكون فيها مغرزة ابرة خالياً منه

اقدام الآثار الاشورية

لا تكاد سنة تمر الا وترى الاثرين في هذه الناحية او تلك البقعة من بقاع الارض يستخرجون من الاطلال القديمة آثاراً جديدة تميظ النقاب عن كثير مما خفي علينا من تواريخ الاقدمين ونوع عمرانهم ومبلغ علومهم ومعارفهم

من ذلك ان فيس قنصل فرنسا في البصرة المسيو ده سرزك وهو من المولعين بالآثار القديمة نقب الاطلال الواقعة في اسافل وادي الفرات ودجلة فعثر في احدى التلال التي نقب فيها على جدران بناية كبيرة ظهر فيما بعد مما وجد فيها من الكتابات والنقوش انها قصر الملك جوديا من ملوك الكلدانيين القدماء . والقصر بناية قائم الزوايا طوله ١٧٠ قدماً وعرضه ١٠٠ قدم وفيه غرف ومقاصير كثيرة طول بعضها اربعون قدماً في مثلها عرضاً . ووجد في القصر وحواليه كثيراً من تماثيل هذا الملك منحوتة في صخر اخضر قائم اللون وهي في القدر الطبيعي وعليها كتابات كثيرة ووجد معها اسطوانتين كبيرتين من الخزف . فنقل بعض ما وجده الى باريس حيث فحصه المسيوليون هنري وغيره من كبار علماء الآثار والعاديات . ثم وضع في متحف اللوفر وكل يوم يضاف اليه آثار جديدة

واقدم هذه الآثار قطعة فيها تمثال شخص بلا لحية ولعله تمثال امرأة وعلى رأسه غطاء يشبه ما يوجد على رؤوس التماثيل الكلدانية عادة . وهو يشير بيده الى تمثال شخص آخر اصغر منه وقد كسر بعضه . والظاهر انه يمثل طفلاً جالساً على ركبتى التمثال الاكبر ولعل التمثالين يمثلان احدى الالهات الكلدانيين والاشوريين وطفلهما كما هو مذكور في خرافاتهم

ومنها قطعة مثقوبة من الوسط لا يعلم الغرض منها وهي من عهد الملك اورنينا احد ملوك الكلدانيين وتاريخها من نحو ٤٠٠ سنة قبل المسيح وعليها نقوش تمثل الملك اورنينا يحف به اولاده و كبار حشمه . ومعنى الكتابة التي امامه هكذا — " اورنينا ملك سربورلا ابن نينهاالدو بنى هيكل الالهة نينا " ولذلك مثل حاملاً السلّة المقدسة التي هي رمز بناء الهيكل . ولعلّ الكتابة المتقدمة اقدم تاريخ مصوّر لحادثة حقيقية

ومن ذلك قطع من عهد الملك ايانادو حفيد الملك اورنينا كسرت من نصب طولهُ سبع او ثمانى اقدام وعرضهُ ٥ اقدام . وفي واحدة منها رسم قسم من جسم الملك وفي الثانية رسم جنوده في ساحة القتال وقد صورت فيها الجنود في المقدمة والتروس الكبيرة في ايادهم وقد اتصل بعضها ببعض حتى صارت كالحصن امام الجيش وتسبحوا بالفؤوس والحرا ب وكانت فؤوسهم وحراهم من البرنز كما يظهر من مكتشفات اخرى اكتشفها المسيو سرزك وكانوا يمسكون الحربة من عند زجها والظاهر ان الملك كان يستعمل يسراه كما يستعمل يماه على حدّ سوى لانه صور وفي كل من يديه حربة الا اذا اريد المبالغة في بسالته . ومن القطع قطعة فيها صورة الملك وقد سدّد حربه الى اعدائه وهم محوقو الرؤوس وقد هربوا امامه والتفت رئيسهم اليه وبسط يديه مسترحماً ولكن حربة الملك اصابت جبهته بين عينيه . ومنها قطعة فيها صورة ثور رُبط والتي على الارض كأن المراد تضحيته

ومن الانصاب التي وجدت نصب يسمى نصب النسر وفيه صورة ايانادو في اربع حالات في الاولى صورته مع المشاة من جنوده وقد تغلبوا على العدو . وفي الثانية صورته وهو راكب مركبته في طليعة فرسانه يقتني اثر العدو . وفي الثالثة صورته وهو يضحي الضحايا تذكاراً لنصرته . وفي الرابعة صورته يمثل بالاسرى وهذا اقدم رسم معركة وجد حتى الآن

اقدم الآثار البابلية

ابنا غير مرة ان السماريين سكنوا بلاد بابل قبل البابليين وتاريخهم متوغل في القدم . وقد كشف الآن تمثال ملك من ملوكهم اسمه داود او داودو اكتشفه الوفد الذي انتدبته مدرسة شيكاغو الجامعة وارسلته الى خرائب بابل للبحث والتنقيب في مكان اسمه بسميا والمرجح ان تاريخه نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح . ولما وجد كان ملقى على ظهره ورأسه مفقود واصابع

بديه مكسورة ومطروحة امامه . ثم وجد الرأس في مكان آخر
وعلا التمثال ٨٨ سنتمترًا ومحيطه ٨١ سنتمترًا ورأسه اصلع ولا شعر في وجهه وعيناه
مثلثتان وحجاجهما فارغان الآن وقد كان فيهما مقلتان من العاج ملصقتان بالزفت . وهو عارٍ
الى وسطه وتحت ذلك ازار يتدلّى من خصره الى كعبيه يمثل الفرو وعلى كتفيه اليمنى ثلاثة اسطر
باللغة السامرية القديمة اي اللغة التي تقدمت اللغة البابلية وهذه صورتها



اشار
الملك داودو
ملك ادنكي

اي ان ذلك التمثال صنع لهيكل اشار هيكل ملك ادنكي
اما اسم الملك فجديد عند علماء الآثار الاشورية واما اسم المدينة والهيكل فذكوران على
بحر حمورابي الذي اشرنا اليه غير مرة
والذي جعل علماء الآثار يرجحون ان عمر هذا التمثال اكثر من ستة آلاف سنة هو
اولاً ان نوع الكتابة التي عليه من نوع الكتابة المنقوشة على الآثار التي تاريخها قبل تاريخ

الملك سرجون اقدم ملوك بابل وتاريخه سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح
وثانياً ان التمثال وجد تحت انقاض عدة هياكل بنيت وهدمت ثم رمت . ففي الانقاض
العليا كتابة تذكر الملك دنجي الذي كان سنة ٢٧٥٠ قبل المسيح وتحتها انقاض عليها اسم
الملك سرجون الذي كان سنة ٣٨٠٠ قبل المسيح وتحتها آثار انقاض اخرى والتمثال تحتها كلها
وثالثاً ان طراز صناعة التمثال وعينه اللتين على شكل مثلثين وشكل انفه وزى لباسه
— كل ذلك يشبه تماثيل الواحد في متحف اللوفر والاخر في المتحف البريطاني . وعلماء الآثار
الاشورية يقولون ان تاريخهما نحو ٤٥٠٠ قبل المسيح ولا يخالفهم عالم كبير في ذلك
ويقال بالاخص ان هذا التمثال اقدم من اقدم اثر بابلي بالف وخمس مئة سنة وهو
مثال كامل لا قدم صناعة في العالم

التلوتوغراف

التلوتوغراف آلة للكتابة عن بعد ، وقد بلغ من انقانها الآن ان صارت بسيطة جداً
وصارت بحيث يستطيع كل احد ان يستعملها اذا كان عارفاً الكتابة . فاذا مسكت قلمها
بيدك وكتبت به تحولت حركته الى كهربائية وانتقلت على سلك التلغراف او التلفون الى
الطرف الآخر منه وحركت هناك قلماً دقيقاً من اشعة النور على ورق من ورق التصوير
الشمسي الحساس فترسم عليه كتابة مثل كتابتك تماماً كما ترى في الرسم التالي فان فيه صورة
الكتابة الاصلية التي كتبها الكاتب والكتابة التي كتبها قلم النور على الورق الحساس
والآلة قسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها فالقسم الذي لارسال الكتابة فيه
قلم عادي من اقلام الرصاص متصل بمغليين صغيرين يجلان كل حركة من حركاته الى
حركتين واحدة افقية وواحدة عمودية وهاتان الحركتان تؤثران في كهربائية بطرية صغيرة
متصلة بهذا القسم من الآلة وتسير الكهربائية على سلك التلغراف او التلفون الى حيث
القسم الثاني من الآلة وهناك قنديل كهربائي صغير ومرآتان ينعكس نوره عنهما وهاتان
المرآتان تحركان بواسطة المجرى الكهربائي الآتي من المكان الاول وتأثيره في مغنطيس متصل
بهما فتكون النتيجة ان الحركتين اللتين انحلت اليهما حركة قلم الرصاص في يد الكاتب
تصلان الى المرآتين وتحركانهما فتؤثران بقلم النور الواقع عليهما من القنديل الكهربائي
فتحركانهم حركتين تكون نتيجتهما مثل حركة قلم الرصاص . وفي هذا القسم من الآلة شريط

من الورق الحساس ملفوف على بكرة فيجري امام قلم النور رويداً رويداً وقلم النور يؤثر فيه فيكتب عليه مثل صورة الكتابة التي انتقلت بالمجى الكهربائي

Der Teleautograph (Gruhn)
braucht wenig Stromkraft,
kann mit dem Telephon ver-
bunden werden. Er sen-
det original Handschrif-
ten auf grosse Entfer-
nungen. Näheres durch
Grazanna, Charlottenburg S.

Der Teleautograph (Gruhn)
braucht wenig Stromkraft,
kann mit dem Telephon ver-
bunden werden. Er sen-
det original Handschrif-
ten auf grosse Entfer-
nungen. Näheres durch
Grazanna, Charlottenburg S.

ومن مزايا هذه الآلة ان الورق الحساس هذا يمر في مغنطيس يظهر تأثير النور فيه ويثبت اثر الكتابة عليه في عشر ثوان من الزمان . فاذا مسكت قلم هذه الآلة بيدك وكتبت به رسالة استغرقت كتابتها ربع ساعة فبعد انتهائك من الكتابة بعشر ثوان فقط تكون الرسالة قد طبعت على الورق الحساس في المكان الذي ارسلت الرسالة اليه وصورتها مثل كتابتك تماماً كما ترى في الشكل المتقدم

ولا يخفى ان هذه الآلة يمكن وصلها بالتلفون فيستطيع الانسان ان يكتب غيره بها كما يستطيع ان يكلمه بالتلفون وهي تنقل خط الكاتب كما ينقل التلفون صوت المتكلم . وفي كل آلة فسمان قسم لارسال الكتابة وقسم لاستقبالها . وقد ظهر بالامتحان في المانيا ان خطوط التلفون العادية تكفي للتلوتوغراف وانه يمكن ارسال الكلام والكتابة على الخط الواحد في وقت واحد من غير ان يقاوم احدهما الآخر

وقد امكن نقل الكتابة بين برلين ودرسدن مسافة ١٢٤ ميلاً فاذا استعمل بين مصر والاسكندرية كانت منه فائدة كبيرة ولا سيما في الاشغال المالية حيث تدعو الحال ان تكون "الاذونات" بخط صاحبها وامضائه وحيث يخشى من وقوع الخطا اذا اقتصر على صوت التلفون . وتوضع آلة التلوتوغراف بجانب آلة التلفون ويمكن استعمالهما معاً في وقت واحد او استعمالهما بالتعاقب

الهالة حول الراس

ادّعى البعض انهم رأوا هالة حول رؤوس بعض الناس فحسبوا انها من الدلائل الالهية على قداستهم او على ترفعهم عن غيرهم من البشر. وقد تناول الاستاذ تندل هذا الموضوع وعلل ظهور الهالة في بعض الاحوال تعليلاً علمياً طبيعياً. لكننا اطلعنا الآن على فقرات في مجلة العلوم النفسية يظهر منها ان بعض الهالات لا يعلل بتعليل تندل لها وان بعض علماء الامراض العصبية لا يزال يظن ان هذه الهالات اذا ظهرت فلها علاقة باحوال الاعصاب المرضية فقد كتب الدكتور فره Féré بالامس يقول انه رأى حادثتين من هذا القبيل منذ اكثر من عشرين سنة تعذر عليه تعليلهما ثم لما علم ما علم عن اشعة الراديوم ظن ان فيه ما يعلمها فنشرهما الآن قال

الاولى امرأة عمرها ٢٨ سنة رأيتها سنة ١٨٨٣ وهي من عائلة فيها الحدار العصبي وكانت تصاب باعراض هستيرية في العشر السنوات السابقة للوقت الذي رأيتها فيه وبالتشخيص وفقد الشبهة للطعام وبلازيميا البيضاء وتبقى منها علامات في جسمها. ويصيبها احياناً صداع شديد يبتدىء في الصباح وينتهي في المساء بالقيء. وفي نوبة من هذه النوبات شعرت بصداع في صدغيها ويبرد في اطرافها. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر اتيت لمشاهدتها فرأيت هالة من النور حول رأسها قطرها ٤ سنتيمتراً لونها برتقالي يقل اشراقه في محيطها ورأيت هالتيين أخريين مثلها حول يديها وصار لون جلدها برتقالياً اقم من لون الهالة وكان اصلاً ابيض ناصعاً وقد ظهرت الهالة قبل وصولي بساعتين وابتدأ التألؤن في جلدها قبلما ظهرت الهالة يوضع ثوان ثم زالت الهالات من حول رأسها ويديها واللون من جلدها بعد حضوري بساعتين في الوقت الذي ينتابها فيه التي أي انها بقيت اربع ساعات

الثانية امرأة عمرها ٢٥ سنة يصيبها صداع كل شهر من حين بلوغها ولها ابنة عمرها اربع سنوات تصاب بنوبات هستيرية. واصيبت هذه المرأة بالصداع في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٤ على جاري عادتها فبقيت في فراشها ودعيت لمشاهدتها واصيبت ابنتها بالتشنج والحول ايضاً ولما رأيتها كذلك تألمت جداً وللحال تغير لون جلدها فصار برتقالياً كما صار جلد المرأة الاولى وظهرت هالة حول رأسها وهالتيان حول يديها وهذه الهالات اضيق من الهالات الاولى ولكنها اشد منها اشراقاً وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولكن هذه الحالة لم تدم الا بضع دقائق ولم ير زوجها هذا النور قبلاً في كل ما اصابها من نوبات الصداع قبل ذلك الوقت

ولم بلغني ان احداً من الاطباء شاهد ما شاهدته لكن ذكر في التواريخ الدينية ان كثيرين حدث لهم ذلك فكانت رؤوسهم و اجسامهم تحاط بهالة من النور. وذكرت ما رأيته لاستاذي شاركو فظهر لي انه كان مرتاباً في صدقه . ثم بلغني حدوث شيء من ذلك في الصيف الماضي وهو ان سيدة من عائلة لا مرض فيها ولا يزال ابوها حيين (عمر ابوها ٢٨ سنة وعمر امها ٧٣ سنة) مرض زوجها فقلقت لمرضه قلقاً شديداً وهمها امره جداً فانحطت قواها وصارت تسمع اصواتاً مقلقة وهي نائمة فتستيقظ مذعورة واستيقظ زوجها ذات ليلة اذ سمعها تصرخ فرأى هالة من النور حول رأسها وكان امامه خزانة كبيرة ذات مرآة فرأى صورته وصورتها في المرآة بالنور الذي كان حول رأسها وهو اشعة بعضها اطول من بعض تحيط برأسها كيفما ادارته وكان وجهها اصفر وكانت اذا اشتد تهبجها يشتد نور الهالة ودامت نحو ربع ساعة

معاهدة الصلح

المادة الاولى . تشترط هذه المادة اعادة السلم والصدقة بين امبراطوري السلطنتين وبين رعايا روسيا واليابان

المادة الثانية . يعترف جلالة امبراطور روسيا بمصلحة اليابان الراجحة في امبراطورية كوريا سياسياً ومالياً وعسكرياً ويتكفل بان روسيا لا تعارض التدابير التي ترى اليابان ضرورة اتخاذها في كوريا بالاتفاق مع حكومتها لادارة احكامها وحمايتها ومراقبتها ولكن الرعايا الروسين وامجباب المشروعات الروسية يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها رعايا البلاد الاخرى ومشروعاتها

المادة الثالثة . اتفق الفريقان على ان تجلي الجيوش الروسية والجيوش اليابانية عن منشوريا معاً وان تبقى جميع الحقوق التي اكتسبها الاشخاص والشركات فيها من غير ان تمس

المادة الرابعة . تنقل كل الحقوق التي لروسيا بمقتضى عقد الايجار في بورت آرثر ودلني والاراضي والمياه المحاذية لها الى اليابان ولكن تصان وتحترم حقوق الرعايا الروسين واملاكهم

المادة الخامسة . تتكفل الحكومتان الروسية واليابانية ان لاتلقيا العراقيل والعوائق في سبيل الاحتياطات العمومية التي تتخذها الصين لناء التجارة والصناعة في منشوريا وستكون هذه الاحتياطات واحدة لجميع الامم على السواء

المادة السادسة . يستثمر الروس واليابانيون معاً سكة حديد منشوريا في كوانج تشنج تسي ولا تستعمل اجزاء هذه السكة التابعة لكل فريق من الفريقين الا لنقل المتاجر فيبقى للروس

جميع الحقوق التي خولت لهم باتفاقهم مع الصين على انشاء السكة الحديدية وتمتلك اليابان المناجم التابعة لقسم سكة الحديد الذي يعطى لها وتحترم حقوق الاشخاص والاعمال الخصوصية ويترك للفريقين المتعاقدين الحرية التامة في اجراء ما يستحسنانه على الاراضي التي نزع ملكيتها المادة السابعة . يتكفل الروس واليابانيون معاً بوصل خطي السكة الحديد التي تخص كلا منهما في كوانج تشنج تسي

المادة الثامنة . اتفق الفريقان على ان يضمنا للسكك الحديدية المنشورية نقل التجارة بلا مقاومة ولا تضيق

المادة التاسعة . يتنازل الروس لليابان عن القسم الجنوبي من جزيرة سنخاين الى الدرجة ٥٠ من العرض الشمالي والجزر التابعة له وضمن حرية الملاحة في خليج بيروز وتارتاري المادة العاشرة . يكون المستعمرون الروسيون احراراً في القسم الجنوبي من سنخاين فيحق لهم ان يقوا فيه من غير ان يغيروا جنسيتهم ولكن يجوز لليابان من جهة ثانية ان تلزم المسجونين الروسيين بترك الاراضي التي اعطيت لها

المادة الحادية عشرة . تعقد روسيا اتفاقاً مع اليابان بمنح الرعايا اليابانيين حق الصيد في مياه الاراضي الروسية من بحور اليابان واخوتسك وبيرين

المادة الثانية عشرة . تكفل الفريقان المتعاقدان بان يجددا المعاهدة التجارية المعقودة بين الحكومتين قبل الحرب بكل معانيها مع تعديلات طفيفة في تفاصيلها

المادة الثالثة عشرة . يتكفل الروس واليابانيون معاً برد اسرى الحرب ودفع المصاريف الحقيقية التي صرفت عليهم ويجب ان تؤيد هذه المصاريف بمستندات خطية

المادة الرابعة عشرة . تكتب هذه المعاهدة باللغتين الفرنسية والانكليزية ويعول الروس على النص الفرنسي واليابانيون على النص الانكليزي واذا وقع خلاف في تفسير شيء منها يرجع في حله الى النص الفرنسي وحده

المادة الخامسة عشرة . يمضي امبراطورا الحكومتين التصديق على هذه المعاهدة في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً من تاريخ امضاءها ويكون سفراء فرنسا واميركا وسطاء بين حكومتي اليابان والروس فينقلون بالتغراف خبر المصادقة عليها . انتهى

وواضح ان الدولتين خرجتا من الحرب خاسرتين ولم يكسب منها الا ارباب الاموال والمعامل في اوربا واميركا فان الدولتين استدانتا واشترتا منهم ما يساوي مئتي مليون جنيه وتعهدتا بدفع الربا الفاحش

الاحتضارات والقبريات

بلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والمحظابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان) ويروي ان عدي بن ربيعة المهلهل لما اسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فلما منه خرج بهما يريد سفراً فاناخا به في الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب بسكين على رجل ناقته هذا البيت ويروي انه اوصاها ان بقولاه لولديه وهو

من مبلغ الحيين ان مهلهلا لله دركا ودرث اييكا
ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات . وانشداها قوله مخضراً . ففكر بعض ولده وقال
ان مهلهلاً لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى له وإنما اراد ان يقول

من مبلغ الحيين ان مهلهلا أمسى فتيلاً في الفلاة مجندلا

الله دركا ودرث اييكا لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فاقراً بقتله فقتلا به في سنة ٥٠٠ م

وهذا اشبه بما يروي ان شاعراً التقى بعدوه منفرداً فهم بقتله . فقال له : انا اعلم ان
النية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا انت قتلتني فامض الى دارى وقف بالباب وناد
ألا ايها البنتان ان اباكما

فاقسم له بالوفاء . فقتله وسار الى بابه وانشد . وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قوله اجابته
قتيل خذا بالثار من انا كما

ثم انهما تعلقتا بالرجل وحملته الى الحاكم فاستقره فاقراً بقتله وقتل بابيهما
ولما رمى وزر بن جابر النهائي عنتره العباسي المشهور بنبله قطعت ظهره تحامل بالرمية
حتى اتى اهله فقال وهو مجروح

وان ابن سلى عنده فاعلموا دمي وهيئات لا يرجي ابن سلى ولا دمي

إذا ما تمشى بين اجمال طيبي مكان الثريا^(١) ليس بالتمضم

رمانى ولم يدهش بأزرق لهدم^(٢) عشية حلوا بين نغف ومحمز^(٣)

ثم مات على اثر ذلك الجرح سنة ٦١٥ م :

(١) اي ذورقة ليس بذليل (٢) الحاد الفاطم من الامنة (٣) اسم محليين

وقال لبید بن ربیعۃ العامریؒ یخاطب ابنته محضراً (توفي سنة ٦٨٠ م)
 تمنی ابتیای ان یعیش ابوها وهل انا الا من ربیعة او مضر
 فقوما وقولا بالنسی تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تجلق شعراً
 وقولا هو المثری الذی لا صدیقه اضاع ولا خاف الخلیل ولا عذر
 الی الحول ثم اسم السلام علیكما ومن ینک حولاً کاملاً فقد اعنذر
 ولما ماتت لیلی العامریة اتی المجنون (قیس بن الملوّح العامری) الی الحیّ وسأل عن
 قبرها فلم یمهدوه الیه فاخذ یشم تراب کل قبر یمرّ به حتی تراب قبرها فعرفه وأنشد:
 ارادوا لیخفوا قبرها عن محبها وطیب تراب القبر دلّ علی القبر
 ولم یزل یکرّر البیت حتی مات ودفن الی جنبها

ولما حضرت عبید الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له: "یا بنی
 أری داعی الموت لا یقلع . وبحقّ ان مضی لا یرجع . ومن بقی فإلیه ینزع ^(١) . یا بنی لیکن
 أولی الأمور بک تقوی الله فی السرّ والعلانیة . والشکر لله وصدق الحدیث والنیة فان للشکر
 مزیداً والتقوی خیر زاد كما قال الخطیبة :

ولست اری السعادة جمع مال ولكنّ التقی هو السعید
 وتقوی الله خیر الزاد ذخراً وعند الله للأنقی مزید
 وما لابدّ ان یأتی قریب ولكنّ الذی یمضی بعید

وقال ابن قتیبۃ : بلغنی ان اول من بکی علی نفسه وذكر الموت فی شعره یزید بن خرقاق فقال:

هل للفقی من بنات الدهر من واق ام هل له من حیام الموت من راق
 قدر جأونی ^(٢) وما بالشعر من شعث ^(٣) والبسوفی ثیاباً غیر اخلاق ^(٤)
 وطالبونی وقالوا ایما رجل وادرجونی کأنی طیّ مخراق ^(٥)
 وارسلوا فتیة من خیرهم حسباً لیسندوا فی ضریح القبر اطباقی ^(٦)
 وقسموا المال وارفضت عوائدهم ^(٧) وقال قائلهم مات ابن خرقاق
 هان ^(٨) علیک ولا تولع بأشفاق فانما مالنا للوارث الباقي

(١) یمیل (٢) من رجل الشعر اذا سرّحه (٣) تلیده لقلّة الطیب (٤) جمع خلق ای بالیة
 (٥) مندیل ویرید الکفن (٦) جمع طبق وهو عظم رفیق یفصل بین کل فقارین ویرید به الجسم
 من باب تسمیة الكل باسم الجزء (٧) ای تفرقت النساء الزائرات لی فی مرضی (٨) المشهور مؤن
 علیک والصدر مثل ولاشفاق الخوف

وقال عروة بن حزام لما نزل به الموت :
 من كان من أخواني بأكياً ابداً فالיום اني أراني اليوم مقبوضاً
 ليسمعيه إني غير سامعه اذا علوت رقاب القوم معروضا
 وقال كليب وائل لقائله جساس بن مرة لما طعنه وادركه الموت : "يا جساس أغثني
 بشرية من ماء" — قال جساس تجاوزت شبيثاً والأحص^(١) فذهبت مثلاً ثم اجهز عليه
 واستقدمت امرأة من بني حنظلة أمام عمرو بن هند لما اقسم انه ليحرقن من بني حنظلة
 مائة رجل في يوم أواره بناحية البحرين . فبعد ان ناقشها الكلام قال لها : اما والله لولا
 مخافة ان تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : اما والذي أسأله ان يضع وسادك .
 ويخفف عمادك ويسلبك ملكك ما قتلت إلا نساء ذوات ميسم ودين^(٢) . قال : اقدفوها
 في النار . فالتفت فقالت : "ألا فتى يكون مكان عجوز" — فلما ابطأوا عليها قالت "كأن
 الفتيان حمى" فأحرقت وذهب كلامها مثلاً

ولما حضرت زرارة بن عدس الحنظلي الوفاة جمع بنيه واهل بيته ثم قال : "انه لم يبق
 لي عند احد من العرب وئر^(٣) الا وقد ادركته غير تمضيض الطائي ملقط الملك علينا .
 حتى صنع ما صنع . فأبكم يضمن لي طلب ذلك من طيبي" — قال عمرو بن عمرو بن عدس
 بن زيد : "أنا لك بذلك يا عم" فأت زرارة مطمئناً

وقال لقيط بن زرارة لما طعنه شريح وارث اي حمل مجروحاً وقربت ساعته
 مخاطباً ابنته دخنوس

يا ليت شعري عنك دخنوس اذا اتاك الخبر المرسوس^(٤)
 أتخلق القرو^(٥) ام تميم لا بل تميم انها عروس
 وقال عبد يغوث بن صلاة رئيس مذحج في يوم كلاب الثاني لما شدوا على لسانه
 نسمة اي قطعة من سير : — "انكم قاتلي ولا بد فعدوني أذم اصحابي وأنوح على نفسي" —
 فقالوا : "انك شاعر ونخاف أن تهجوننا" فعدلهم ان لا يفعل فأطلقوا لسانه وأمهله
 حتى قال قصيدته هذه :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فمالكما في اللوم نفع ولا ليا
 ألم تعلم أن الملامة تنفعها قليل وما لومي اخي من سماتيا

(١) اسم مورد بن (٢) اي حسن وجمال (٣) بمعنى النار (٤) من رس امور القوم
 واخبارهم اذا تعرضوا (٥) اي الشعر

فيا راكباً إما عرضت قبلن
أبا كرب والأهمين كليهما
جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً
ولوشئتُ نجني من القوم نهدةً^(١)
ولكنني أحبي ذمار^(٢) ايكم
أحقاً عباد الله ان لست سامعاً
اقول وقد شدوا لساني بنسعة
وتضحك مني شيعه عيشية^(٣)
أمعشرتيم قد ملكتم فأسيجوا^(٤)
فان تقتلوني تقتلوني سيداً
وقد علمت عرسي مليكة أني
قد كنت نجار الجزور ومعمل المهي
واعقر^(٥) للشرب^(٦) الكرام مطيبي
وكنيت اذا ما اخيل شمصها^(٧) القنا
فياعاص فك القيد عني فاني
وعادية^(٨) سوم^(٩) الجراد وزعتها^(١٠)
كأنني لم اركب جواداً ولم اقل
ولم اسب^(١١) الزق^(١٢) الروي^(١٣) ولم اقل
فما اتمها حتى ضربوا عنقه بنحو سنة ٥٨٠ م

وقال عدي بن زيد العبادي وهو في حبس النعمان بن المنذر قبل ان اتي على نفسه في
سنة ٥٨٧ م : (وتروى مقيدة الروي)

(١) فرس حسنة (٢) ما يلزمك حفظه من عرض وشعر (٣) جمع راع (٤) المصبيين
الكلا البعيد (٥) المتالي من الابل التي لم تقع حتى صافت (٦) مغتوة من عبد شمس (٧) اسج
الوالي احسن العفو (٨) تصادروني (٩) اشعروا ذبح (١٠) جمع شارب كالصبي جمع صاحب
(١١) أمزق واشق (١٢) مثنى فينة وهي الجارية المغنية (١٣) طردها طرداً عنيقاً (١٤) هوذو
اللبق اي المخذق والرفق بالعمل (١٥) جماعة القوم بعدون لقتال (١٦) من سامت الطير على الشيء
حامت او من سامت الابل والريح مرت (١٧) دفعتهما (١٨) بمعنى وجهها (١٩) صلور الريح
(٢٠) اشترى وابتع

ابلق النعمان غني مالكاً^(١) انه قد طال حبسي وانتظاري
لو بغير الماء حلقي شرق^(٢) كنت كالغصان بالماء اعتصاري^(٣)
وعداقي شمت^(٤) اعجبهم انني غيبت عنهم في اساري
لامرئ لم يبل مني سقطة اب اصابته ملمات العثار
فلئن دهر^(٥) تولى خيره وجرت بالنخس لي منه الجواري
ربما منه قضينا حاجة وحياة المرء كالشيء المعاري
ولامري ربيعة بن مكرم في يوم الكديد لحق بالظعن يستدني حتى انتهى الى امه ام
سان فقال: على يدي عصابة . وهو يرتجز ويقول
شدي علي العصب^(٦) ام سيار فقد رزبت فارساً كالدينار
يطعن بالرمح امام الادبار
فالت امه انا بنو ثعلبة بن مالك مرور اخبار لنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك ولا يكون الرزء الا ذاك
وشدت امه عليه عصابة فاستسقاها ماء فقالت: ان شربت الماء مت^(٧) فكر على القوم .
فكر راجعاً يشتد على القوم وينزفه الدم حتى اثن^(٨) فقال للظعن: " اوضعن ركابكن^(٩)
حتى ينهين الى ادنى البيوت من الحي فاني لما بي سوف اقف دونكن^(١٠) لهم على العقبة فاعتمد على
رحمي فلا يقدمون عليكن^(١١) لمكاني^(١٢) ففعلن ذلك فنجون الى مأمنهن^(١٣) ثم مات . قال ابو عمرو
بن العلاء: ولا نعلم فتية ولا ميتاً حمى الاظعان غيره^(١٤)
وكان توبة بن الصمة محاسباً لنفسه في اكثر آناه^(١٥) ليله ونهاره فحسب يوماً ما مضى
من عمره فاذا هو ستون سنة فحسب ايامها فكانت احدى وعشرين الف يوم وخمسمائة يوم
فقال ياويلنا التي مالكا^(١٦) باحدى وعشرين الف ذنب^(١٧) — ثم صعق^(١٨) صعقة كانت فيها نفسه
وقال عمرو بن زيد بن التميمي بوصي ابنه وهو يجود بنفسه
أبني زودني اذا فارقتني في القبر راحلة^(١٩) برحل قاتر^(٢٠)
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوسقين^(٢١) معاً لحشر الحاشر

(١) رسالة (٢) من اعتصر بالماء ما غص به من الطعام اي شربه قليلاً قليلاً ليسبعة (٣) البرد
وبريد هنا ما يشد به الجرح منه (٤) وهن وضعف (٥) جمع الى وهو عامة النهار (٦) غني
ظلم وذهب عقله من صوت بسمكة كالصاعقة ونحوها (٧) القاتر من الرجال والسرّج الحيد الوقوع على
الظهر واللطيف ومنها الذي بقي الظهر ولا بعقره (٨) مجتمعين

من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عاثٍ
وقام ابو عبيدة بن الجراح خطيباً في طاعون عمواس فقال: "ايها الناس ان هذا
الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان ابا عبيدة يسأل الله ان يقسم له
منه حظه" — فما أتم كلامه حتى اصابه الطاعون فمات لوفته سنة ١٨ ٦٣٩ هـ م

وقال خالد بن الوليد عند موته "لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسمي موضع شبر إلا
وفيه ضربة او طعنة ثم ها انا اذا اموت حنفت اني^(١) كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء"
توفي سنة ٢١ ٦٤٣ هـ م

وارتجزرؤيد بن زيد محضراً

اليوم بيني لدويد بيته لو كان الدهر بلا ابلية
او كان قرني^(٢) واحداً كفيته يارب نهب صالح حويته
ورب غيل^(٣) حسن لوبته ومعصم^(٤) مخضب ثنيته

واستدعى جريدة بن الايشم الاسدي ابنه سعيداً فاوصاه وهو يلفظ انفاسه
ياسعد اما اهامكن^(٥) فاني اوصيك ان اخا الوصاة الاقرب
لا تترك اباك يعثر رجلاً في الحشر يصرع لليدين وينكب
واحمل اباك على بعير صالح وسقى الخطيأ^(٦) انه هو اقرب
ولعل لي مما تركت مطية في القبر اركبها اذا قيل اركبوا
وينبغ جوشن بن قنفذ الكلابي في الشعر ومنعه عنه ابوه نجاش في صدره ومرض حتى
اشرف على الموت فاذن له ابوه في انشاده: فقال "حال الجريض دون القريض" والجريض
غصة الموت فذهب قوله مثلاً وقيل قاله عبيد بن الابرص للنعمان

وقال دراج لما طعن

شدي عليّ العصب أم كهس ولا تهلك اذرع وارؤس
مقطعات ورقاب خنس^(٧) فانما نحن غداة الانحس
هم^(٨) هم^(٩) هم^(١٠) طليت قمرس^(١١)

(١) لغيرة (٢) نظيري وكنومي (٣) ساعد ريان مثلي (٤) موضع السوار من اليد
(٥) مثني رويد اي على مهل (٦) منقضة (٧) جمع هيا وهي الناقة التي اصابها داء الهيام من
العلش (٨) جمع هيا وهي المفازة بلا ماء (٩) قمرس بمعنى تحنك من الجرب
(١٠) هم (١١) طليت قمرس

ولما احس الحطيئة الهجاء بالموت اجتمع اليه قومه فقالوا : يا مليكة اوص فقال : ويل
لشعر من رواية السوء . قالوا اوص رحمك الله يا حطيئة قال : من الذي يقول
اذا انبض الرامون عنها ترنمت ترنم شكلي اوجعتها الجناز
قالوا الشماخ . قال ابلغوا غطفان انه اشعر العرب . قالوا ويحك اهذه وصية اوص بما
ينفعك . قال ابلغوا اهل ضابج انه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير اني رأيت جديد الموت غير لذيد

قالوا اوص ويحك بما ينفعك . قال ابلغوا اهل امرئ القيس انه اشعر العرب حيث يقول :

فيا لك من ليل كان نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل

قالوا انق الله ودع عنك هذا قال : ابلغوا الانصار ان صاحبهم اشعر العرب حيث يقول :

يفشون حتى ما تهر كلاهم لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا هذا لا يغني عنك شيئاً فقل غير ما انت فيه فقال :

الشعر صعب وطويل سلمة اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زأت به الى الخضيض قدمه يريد ان يعربه فيجمعه

قالوا هذا مثل الذي كنت فيه فقال :

قد كنت احياناً شديد المعتمد وكنت ذا غرب على الخصم الذ

فوردت نفسي وما كادت تُرد

قالوا : يا ابا مليكة الك حاجة . قال : لا والله ولكن اجزع على المدح الجيد بمدح به
من ليس له اهلاً

قالوا : فمن اشعر الناس . فأوماً بيده الى فيه وقال هذا الجعيز^(١) اذا طمع في خير .
بني فمه واستعبر باكياً فقالوا له قل لا اله الا الله فقال :

قالت وفيها حيدة وذعر عوذبي بربي منكم وحجر

فقيل له ما نقول في عبيدك وإمالك . فقال : هم عبيد قن^(٢) ما عاقب الليل النهار .
قالوا فافوص للفقراء بشيء قال اوصيهم بالالاحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور . قالوا فما نقول
في مالك . قال للأنثى من ولدي مثلاً حظ الذكر . قالوا ليس هكذا قضى عز وجل لمن
قال : لكنني هكذا قضيت . قالوا . فما توصي لليتامى قال : كلوا اموالهم . قالوا فهل شيء تعهد

(١) صغير جرموهو الغار البعيد النعر (٢) اي ملكواهم وآباؤهم يقع على المفرد والجمع والمؤنث

فيه غير هذا قال نعم . تحملوني على اثنان وتتركوني راكبها حتى اموت فإن الكريم لا يموت على فراشه والأثنان مركب لم يموت عليه كريم قط . فحملوه على اثنان وجعلوا يذهبون به ويحيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا احد الأُم من حطية هجا بنيه وهجا المرية

من لؤمه مات على فرية (١)

وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب

ولما رمي بشر بن أبي حازم بن عوف الأَسدي الشاعر بسهم في غزوة بني وائل ونفذ في صدره خر عن فرسه وانشد عند موته ٥٣٠ م :

اسائلة عميرة عن ابها	خلال الجيش تعرف الركبا
توَمَل ان اعود لها بنهب	ولم تعلم بان السهم صابا
فانَّ أباك قد لاقى غلاماً	من الابناء ياتهبُ التهايا
وان الوائلي اصاب قلبي	بسهم لم يكن نكساً (٢) محاي (٣)
فرجي الخير وانتظري إياي	اذا ما القارظ الغزي آبا (٤)
فمن يك سائلاً عن بيت بشري	فان له يجنب الرد بابا
ثوى في ملحد (٥) لا بد منه	فأذري الدمع وانجي انتحبا
مضى قصد السبيل وكل حي	إذا حانت منيته اجابا

وروى ابو الجباب أن معاذ بن جبل لما أحضر قال لخادمته ويحك هل أصبنا . قالت لا . ثم تركها ساعة ثم قال لها انظري فقالت نعم . قال أعوذ بالله من صباح الى النار . ثم قال "مرحباً بالموت مرحباً بزائر جاء على فاقة لا افلح من ندم . اللهم انك تعلم اني لم أحب البقاء في الدنيا لجري الأمانر وغرس الاشجار ولكن لمكابدة الليل الطويل وظلم المواجر (٦) في الحر الشديد ومزاحمة العلماء بالركب في مجالس الذكر " وتوفي سنة

٦٣٩٥١٨ م

ستأتي البقية

(١) اثنان (٢) السهم المتكسر (٣) احب الراي اخطأ الغرض ولم يسمع غيره من حاي
(٤) مثل لعدم العودة (٥) قبر (٦) جمع هاجرة وهي الظهيرة

ماضي الاحياء ومستقبلها

في السماء نجوم لا عديد لها واكثرها عوالم كل منها يكبر ارضنا الوفا من المرات بل نسبة الارض اليها نسبة عزبة صغيرة فيها عشرون او ثلاثون بيتاً الى مدينة كبيرة مثل لندن او باريس فيها مئات الوف من البيوت فهل يعقل ان تكون الارض مسكونة وتلك العوالم خالية من السكان خلقت لكي تدور في افلاكها وترى من الارض كنقطة صغيرة في كبد السماء والارض وحدها من بين كل العوالم تسكنها المخلوقات العاقلة وغير العاقلة وهي اصغرهما جرماً ولا تمتاز عليها بوجه من الوجوه

ثم انه ثبت بالدلة العلمية القاطعة ان المواد الكيماوية التي تتركب منها الاجرام السماوية هي نفس المواد الكيماوية التي تتركب منها الارض اي ان طينة العوالم واحدة فعلى ما لا نكون مسكونة كالارض بخلائق عاقلة مثلنا

لكن الاجرام السماوية ليست الآن في الحالة التي فيها الارض من حيث الحرارة والبرودة والكثافة واللطافة اي لو انتقل الانسان الى المشتري او الى زحل او الى الزهرة ما استطاع السكنى فيها ساعة واحدة فان كان هناك خلائق حية عاقلة فهي ليست مثلنا في شيء ويلم بالبحث ان الارض لم تكن في عصورها الغابرة ولا تكون في العصور التالية كما هي الآن فان كانت الاجرام السماوية مسكونة فالارض كانت مسكونة ايضاً لما كانت شديدة الجو مثل بعضها وستبقى مسكونة بعد ان تصير شديدة البرودة مثل البعض الآخر

كتب العالم جفري مارتن مقالة في جريدة العلم الانكليزية يبحث فيها بحثاً جديداً في ماهية الحياة واصلها فأبان أولاً ان جميع المركبات الكيماوية تتحلل عند حرارة وضغط معين وان الحرارة اللازمة لحل المواد تختلف باختلاف عدد الجواهر التي تتألف منها كل دقيقة من دقائق المادة وصفة تلك الجواهر . ثم بحث في ما يكون تركيب المادة التي آخر ما نحصله من الحرارة والضغط يطابق الحرارة والضغط اللذين على الارض الآن وما تكون خصائص تلك المادة واستنتج انه لا يستحيل على الاحياء ان تعيش والحرارة شديدة جداً كما لا يستحيل عليها ان تعيش والبرد شديد جداً . قال

اذا وضعنا مركباً كيماوياً مثل كربونات الكلس مثلاً في اسطوانة مسدودة وعرضناه لحرارة متزايدة وضغط مستمر اخذ في الانحلال عند بلوغ درجة معلومة من الحرارة . ثم اذا

زدنا الضغط توقف الانحلال وصار المركب يحتمل حرارة أعلى من الحرارة الاولى من غير ان ينحل . واذا استمرنا على زيادة الحرارة وصلنا الى درجة تساوى عندها القوى الخارجية التي من شأنها تفريق الجواهر بعضها عن بعض والقوى الداخلية التي تربط الجواهر بعضها ببعض في الدقيقة . وبناءً على ذلك نقول انه اذا زادت الحرارة عن درجة معلومة فلا ضغط يمنع المادة من الانحلال التام مهما كان ذلك الضغط شديداً . وهذا الضغط وهذه الحرارة نسميها الحد الأقصى لانحلال المركبات

وكما قل عدد الجواهر في دقيقة من دقائق الجسم المركب علا حد الحرارة الأقصى لانحلاله . وكما كثر عددها انخفض هذا الحد . والسبب في ذلك انه اذا كثر عدد الجواهر في دقيقة الجسم المركب ضعفت القوة التي تربطها بعضها ببعض وهذا ظاهر من انه كلما زاد المركب اختلاطاً سهل انحلاله

اذا اردنا توليد مركب مختلط مثل هذا وجب ان نختار اساساً لنا جوهراً له ميل شديد الى التركيب مع غيره حتى نستطيع ان نضيف اليه جواهر اخرى مختلفة . والجواهر التي تضاف اليه يجب ان يكون فيها الفة نحوه وبعضها نحو البعض الآخر لتستقر على حال واحدة . وافضل العناصر المعروفة التي تصلح لان تؤخذ منها جواهر أساسية يبنى عليها ويضاف اليها انما هي الكربون . والعناصر التي لها الفة بعضها لبعض وللكربون وهي اكثر العناصر وجوداً على الارض انما هي الهيدروجين والاكسجين والنيتروجين في المرتبة الاولى والكبريت والفسفور في الثانية . ولكن الفة الكربون للهيدروجين والاكسجين والنيتروجين ضعيفة في المواد التي تتركب منها (المواد الآلية) وحد الحرارة الأقصى لانحلالها واطىء حتى انها تفعل اذا اشتدت الحرارة فصارت مثل حرارة النار

ثم انه لما كان جذب الجواهر بعضها لبعض في هذا المركب ضعيفاً فان جذب دقائق بعضها لبعض يكون ضعيفاً ايضاً وعليه فاما ان يكون المركب سائلاً او شبه سائل وقوامه كقوام الجلوتين . وهذا هو البروتوبلازم اساس المادة الحية فانه مركب من الكربون والهيدروجين والاكسجين والنيتروجين وقليل من الكبريت والفسفور وقوامه مثل الحلام دائم التغير ما دامت الحياة فيه وحرارته واحدة فاذا زادت عن حد انحلاله الأقصى انحل وضمحل حسب الظاهر واذا نقصت عنه بطل انحلاله فبطل عمله

اما سبب التغير المستمر الذي يطرأ على الجسم الآلي فهو التغير الدائم الذي يطرأ على الحرارة والضغط والفواعل التي تفعل في الارض من الخارج كالاشعاع والنور . وتركيب الجسم

الآلي هو بحيث يستطيع معه تكيف نفسه على حسب التغير الدائم في الاحوال المتسلطة على الارض وهذا التكيف هو ما نسميه بالحياة

والمرجح ان السبب في وجود اعضاء مختلفة في البروتوبلازم ذات وظائف مختلفة هو تفاوت اجزائه في التأثير بالمؤثرات الخارجية المتنوعة وان اختلاف الاعضاء يتم بحلول دقائق النور والعناصر الثقيلة محل العناصر الخفيفة التي يتركب البروتوبلازم منها

هذا وان الحرارة والضغط على سطح الارض ليسا الآن مثلاً كانا عليه في سالف الزمان بل المرجح ان الارض كانت شديدة الحرارة فيما مضى وانها تبرد على التوالي اي انها كانت في اوائل عمرها كتلة نار تحيط بها سحب كثيفة من البخار . وعليه فان وجد فيها احياء حينئذ فلا بد ان تركيبها كان يختلف عن تركيب الاحياء الموجودة فيها الآن لاختلاف حد الحرارة القصوى وحد الضغط الاقصى . وكلما زاد الضغط والحرارة زاد ميل الجسم الحي الى اضافة العناصر الثقيلة الى تركيبه وطرده العناصر الخفيفة الطيارة منه . فان وجد في الارض احياء حين كان ضغطها وحرارتها شديدين فلا بد من ان العناصر التي كانت تلك الاحياء تتركب منها تختلف كل الاختلاف عن العناصر التي تتركب منها الآن . وفي رأيي ان تركيب المادة الحية مرّ في ادوار نشوء وارتقاء مثل معظم الاشياء ولا يزال يمرّ فيها الى الآن وانه حين كانت الارض كتلة بيضاء من شدة الحرارة كانت الاحياء تختلف عما هي عليه الآن . وان العناصر الرئيسة التي كانت تتألف منها كانت ثقيلة غير معدنية كالسلكا والكبريت والنفثور والاكسجين فلما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تطرده الثقيلة وتحل محلها حتى صار تركيب الجسم الحي كما يرى الآن

وربّ سائل يسأل هل يوجد بين العناصر عنصر يفعل بالاجسام الحية في الحرارة العالية ما يفعل الكربون بها في الحرارة العادية . فالجواب نعم وهذا العنصر هو السلكا ووجه الشبه بينه وبين الكربون ميله الشديد الى التركيب والفتة لبعض العناصر حتى يتكون من تلك الالفة عدد عظيم من الاجسام المختلطة التركيب مثل السليكات وما يشتق منها . والفرق الجوهرى بين مركبات الكربون ومركبات السلكا انما هو في الحرارة فان مركبات الكربون اقرب الى الانحلال بالحرارة العادية

ولما كانت الحرارة التي يتولد البروتوبلازم عندها من الكربون هي الحرارة التي يكون عندها اكثر مركباته مع الهيدروجين والاكسجين سائلاً او شبه سائل استدللنا على ان الحرارة التي تولد السلكا عندها مركبات غير ثابتة هي الحرارة التي تكون تلك المركبات

عندها سائلة او شبه سائلة او الحرارة البيضاء . وليس لدينا ادلة قطعية على ان الحياة لم تبدأ
بمركبات الكربون بل بدأت بعناصر أكثر احتمالاً للحرارة مثل السلكا والفسفور والكبريت
والاكسجين ولكن يرجح ان الاحياء وجدت بكثرة في السلكا المصهورة التي كانت تغطي
سطح الارض في العصور الخالية ثم لما ماتت تلك الاحياء امتزجت اجسامها بمادة الصخر
المصهور المحيطة بها من غير ان تترك خلفها اثرًا يستدل به على وجودها

وظاهر انه لما اخذت الارض تبرد وصلت حرارتها الى درجة دون ما تستطيع الاحياء
المكونة من السلكا البقاء عندها فماتت لموجود مادتها . والذي يراه ان السلكا كانت قوام
الحياة في عصر من العصور السالفة ثم حل الكربون محلها على كثر الا عصر وتغير الاحوال ولم
يبق لها اثر في اجسام الحيوانات الان الا حيث يراد تقوية بنائها . اما النباتات فتحتوي
مقادير كثيرة منها . ومثل هذا يقال في الكبريت والفسفور فان الاليومون يحتوي شيئاً قليلاً
من الكبريت ولا يعلم احد وظيفته والدماغ والاعصاب تحتوي قليلاً من الفسفور . فلما اخذت
الحرارة تبرد جعل الاكسجين محل محل الكبريت في الاجسام الحية والتروجين محل الفسفور
هذا ولا يكاد يعقل ان وجود الاحياء انحصر في زمان مثل الزمان الحاضر تبعاً لما فيه
من الحرارة والضغط . وكيف يتصور ان وجود الاحياء انحصر في هذا الزمان الذي لا يعد
شيئاً في طول النسبة الى الدهور الطويلة التي مرت على الارض قبلما بردت حرارتها الى ما
هي عليه الان والدهور التي ستمر بها قبلما تهبط حرارتها الى درجة الصفر المطلق . والقول
بهذا مثل القول بان الشمس والاجرام السماوية والكون بامر يدور حول الارض
وانها هي مركز الخليقة كلها كما كان الفلكيون القدماء يزعمون

وهل يعقل ايضاً انه لا يوجد بين الالوف المؤلف من العناصر ما يستطيع ان يكون مقراً
للحياة سوى الكربون والهيدروجين والتروجين والاكسجين . فاننا اذا درسنا خصائص هذه
العناصر الاربعة وقابلناها بخصائص العناصر الاخرى لا نرى فيها ما يمتاز به فريق عن فريق
بل ان كل واحدة من خصائص هذه العناصر الاربعة موجودة في العناصر الاخرى على درجة
متفاوتة من القلة او الكثرة . فلماذا نقول انها هي وحدها قوام الحياة دون غيرها . اما كون
الاحياء التي على الارض تتألف منها على الاكثر فربما كان ذلك صدفة واتفاقاً . فانها وجدت
وفيهما الصفات التي تجعلها اكثر ملائمة من العناصر الاخرى لان تتركب الاحياء منها عند
الحرارة والضغط اللذين في الارض الان . ولكننا نعلم ان الخصائص الكيماوية تتغير كثيراً
بتغير الحرارة والضغط اللذين تتعرض العناصر لهما حتى لقد قال بعضهم انه يمكننا تغيير خواص

العناصر الكيماوية تحت حرارة وضغط معلومين بتغيير الاحوال الخارجية التي تكون تلك العناصر فيها . فاذا كان الامر كذلك لم يسعنا سوى الاستنتاج ان عناصر اخرى تتغير كذلك في احوال خارجية اخرى حتى يمكن ان تدخل في تركيب الاحياء مع انها لا تستطيع ذلك تحت الحرارة والضغط المعروفين الان

وفي الفضاء ملايين الملايين من الكواكب والسيارات والاجرام المتأججة من شدة الحرارة وكثير من الشمس المظلمة التي تختلف احوالها الطبيعية عن احوال ارضنا فهل هذه كلها خالية من الخواقات الحية أو لا يرجح العقل ان الاحياء موجودة فيها ولكن على صور واشكال وتراكيب تختلف عن صور الاحياء الارضية واشكالها وتراكيبها

ولا يطمئن العقل الا اذا اعتقد ان الحياة قديمة بل هي مثل الكون قدماً . وقد وجدت على الدوام في العالمين والارض في جملتها وستبقى على الدوام مهما آت اليه امر الارض . والبروتوبلازم الارضي نتيجة نشوء وارتقاء في دهور وعصور لا يحصى عديدها من العصور التي كانت الارض فيها كتلة نارية الى هذا اليوم . وقد تناوبت العناصر كلها في تركيبه فدخله البعض ثم خرج ليحلّ غيره محلّه . والعناصر التي تركب البروتوبلازم منها اولاً كانت اقل من غيرها واقل تيجراً ثم لما جعلت الارض تبرد جعلت العناصر الخفيفة تحلّ محلّ الثقيلة حتى اتخذت الاحياء صورها الحالية وتراكيبها المعروفة . وهذا التبديل بين العناصر من الثقيلة الى الخفيفة يكاد يكون تاماً الآن اي انه لا ينتظر ان يحدث تغيير كبير في تركيب الاحياء بعد لان العناصر التي يتركب البروتوبلازم منها من اخف عناصر الكون فلا يوجد اخف منها ليحلّ محلّها . ولكن الارض لا تزال تبرد وعليه فان الاختلاف بين حرارة الاحياء وحرارة الارض والهواء آخذ في الزيادة على مرّ القرون فلا بدّ من ان يصعب حفظ الحياة رويداً رويداً

من الشروط التي لا بدّ منها لظهور الحياة في الجسم الحي السيولة فان المادة الحية تقتضي ان تُفرك بسهولة فيجب ان تكون في سائل وهي نفسها تشبه السائل في قوامها . وكلّ الدلائل تدلّ على ان السيولة شرط لازم من شروط الحياة حتى لقد قيل ان الاحياء ظهرت اولاً في الماء ثم انتقلت منه الى اليابسة . وما يؤيد ذلك ان الماء يؤلف الجانب الاكبر من تركيب الاحياء سواء كان مركباً بها او غير مركب

والغرض من كون الاحياء سائلة او شبه سائلة ظاهر من درس طبائعها الكيماوية فانها

مركبة من جواهر مختلفة دائمة التغير . ومن اهم شروط الحياة التغير ولا يتم هذا التغير في الجسم الحي لمقاومة انحلاله الدائم الا بواسطة جسم سائل او شبه سائل . فاذا كانت الاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط تمنع وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل لم يمكن وجود الحياة فيها كما نعرفها الآن

وعليه يجب ان يكون تركيب الاحياء مطابقاً للاحوال الطبيعية الخارجية من حرارة وضغط الى حد ان تبقى تلك الاحياء دائمة السيولة . ويظهر لنا من مراجعة تاريخ الارض ان تلك الاحوال كانت تختلف عما هي عليه الآن . فقد اتى على الارض حين من الدهر كانت فيه كتلة نار ولم يكن القمر قد انفصل عنها بعد فاختدت تبرد حتى نقصت حرارتها الى ما هي عليه الآن ولا تزال تبرد ولا بد ان يأتي يوم ينخفض فيه معدل حرارتها من ١٥ درجة بميزان سنتغراد الى الصفر فعشر درجات تحت الصفر فمئة فوطاً من ذلك الى درجة يجمد الهيدروجين عندها

وحرارة الارض الآن اعلى قليلاً من الحرارة التي يتحول ماء الارض كله عندها جليداً وقد ابتداء دور التجمد حتى ان مساحات واسعة من سطح الارض جمد الماء فيها الى الابد وستمثد على مر الزمن حتى يجي زمان نتحول فيه البحار والاقيانوسات جليداً من سطحها الى قعرها فيظهر الماء للانسان المستقبل كأنه من الجوامد مثلاً يظهر صخر الرخام لنا

وقد يظهر لأول وهلة ان نتيجة هذا التجمد العام ابادت الاحياء برمته لانه اذا جمد الماء كله بات من المستحيل وجود المادة الحية في صورة سائل او شبه سائل . والماء كما لا يخفى قوام الاحياء وعلى سيولته تتوقف سيولتها وحركتها . ولكن درجة جمود الماء يمكن تخفيضها باضافة بعض المواد الى الماء . مثال ذلك ان الماء الملح يبقى سائلاً عند درجة الجليد . ولو كانت الاحياء آلة جامدة لا تتكيف بالمكيفات الخارجية ليئسنا من بقاء الحياة في العصر المقبلة حين يسود البرد والظلام ولكن الدلائل الكثيرة تدل على انها ليست آلة صماء بل تكيف نفسها بحسب الاحوال الخارجية المتغيرة . مثال ذلك اننا اذا رفعنا درجة حرارة الماء الذي يعيش فيه بعض الاحياء الصغيرة امكننا على مر الزمن ان نجعلها تعيش في حرارة لا تستطيع الاحياء التي من نوعها ان تعيش فيها ما لم تكن قد اعتادت المعيشة فيها مثلها بل تموت حالاً اذا تعرضت لها . فالمسألة الان كيف تستطيع الاحياء ان تغير تركيبها حتى يمكنها المعيشة في درجة من البرودة اوطاً من درجة الجليد بكثير

والجواب على ذلك انه اذا كان لا بد للاحياء ان تسلم من الموت بروداً فلا بد من ازالة

الماء منها تدريجياً واستبداله بمادة اخرى تبقى سائلة في درجة يجمد الماء عندها . وتلك المادة في الكحول فانه لا يجمد الا عند الدرجة ١٣٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد والماء يجمد عند درجة الصفر . ثم ان الكحول اقرب المواد الى الماء في خصائصه الكيماوية والطبيعية بل هو ماء يجل محلّ جوهر من جوهر الهيدروجين اللذين فيه مادة اخرى . ثم ان الكحول يتم وظائف كثيرة من وظائف الماء وله علاقة بالمواد الآلية مثله ولكن تلك العلاقة اضعف كثيراً من علاقة الماء بها وهو نتيجة اختار الاحياء الدنيا ويكثر وجوده في النباتات والثمار الناضجة المخمرة . فليس غريباً والحالة هذه ان يدخل في تركيب المواد الحية أكثر مما يدخل في تركيبها الآن ويحل محل الماء فيها على مر الزمان لاسيما وان بعض الاحياء الدنيا تولد الكحول في اجسامها . فاذا هبطت الحرارة الى تحت درجة الجليد لم يؤثر ذلك فيها لان الكحول يجل محلّ ماءها

ومن المشهور ان سكان المناطق الباردة يشربون الكحول أكثر من سكان المناطق الحارة واذا برد انسان تراه يطلب الكحول ويشربه كأنه ينقاد بالفرصة اليه وعليه فلا بد من ان هذا الميل الى الكحول يزيد كلما بردت الارض

ولا اسهل عليّ من ان اتصور الانسان يشرب الماء القراح اولاً ثم الماء ممزوجاً بقليل من الكحول كما يفعل الآن ثم يزيد الكحول ويقلل الماء بزيادة البرد على مر الدهور حتى يأتي زمان يشرب الكحول فيه صرفاً . وكلما زاد شربه للكحول زاد مقدار الكحول المذخور في جسمه وقل مقدار الماء حتى يحل الكحول محل الماء تماماً كما حل الاكسجين والنيتروجين والكربون والهيدروجين محل الكبريت والفسفور والسلكا فيه او يبقى من الماء اثر قليل في الجسم كما بقي فيه اثر قليل من الكبريت

إذا أفليس ما يرى في الانسان الآن من الميل الى الاقلال من شرب الماء القراح والاكثر من شرب المشروبات الكحولية في البلدان الباردة طلائع الدور الجديد الذي بدأ الكحول فيه يحل محل الماء من جسم الانسان . وقد يحنمل ان سائلاً آخر غير الكحول يحل محل الماء كالزيت الذي يوجد بكثرة في اجسام الاسماك السابجة في البحور الباردة . وسواء حل الكحول او الزيت او غيرها محل الماء فمن المؤكد الذي لا ريب فيه انه اذا كان لا بد من بقاء الاحياء في حرارة اوطأ كثيراً من حرارة سطح الارض الآن فلا بد من ان يزول الماء من اجسامها ويحل محله سائل آخر لا يسهل تجميده مثله

عدد سكان العواصم الكبرى

اسم المدينة	المملكة	عدد سكانها	بحسب تعداد سنة
لندن	انكلترا	٦٥٨١ ٣٧١	١٩٠١
نيويورك	اميركا	٣ ٨٣٣ ٩٩٩	١٩٠٠
باريس	فرنسا	٢ ٧١٤ ٠٦٨	١٩٠١
برلين	المانيا	١ ٨٨٤ ١٥١	١٩٠٠
شيكاغو	اميركا	١ ٦٩٨ ٥٧٥	١٩٠٠
فيينا	النمسا	١ ٦٣٥ ٦٤٧	١٩٠١
كنتون	الصين	١ ٦٠٠ ٠٠٠	تقديراً
طوكيو	اليابان	١ ٥٠٧ ٦٤٢	١٩٠٠
فيلا دلفيا	اميركا	١ ٢٩٣ ٦٩٧	١٩٠٠
بطرس برج	روسيا	١ ٢٤٨ ٦٤٣	١٩٠٠
القسطنطينية	تركيا	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٩٠١
بكين	الصين	١ ٠٠٠ ٠٠٠	تقديراً
موسكو	روسيا	٩٨٨ ٦١٤	١٨٩٧
بونس ايرس	الارجنتين	٩٠٠ ٠٠٠	١٩٠٠
بباي	الهند	٧٧٦ ٨٤٣	١٩٠٠
غلاسكو	سكتلندا	٧٦٠ ٤٢٣	١٩٠١
بودابست	المجر	٧٣٢ ٣٢٢	١٩٠١
همبرج	المانيا	٧٠٥ ٧٣٨	١٩٠٠
لنربول	انكلترا	٦٨٥ ٢٧٦	١٩٠١
ريوجناريو	برازيل	٦٧٤ ٩٧٢	١٩٠٠
وارسو	روسيا	٦٣٨ ٢٠٩	١٨٩٧
سنت لويس	اميركا	٥٧٥ ٢٣٨	١٩٠٠
القاهرة	مصر	٥٧٠ ٠٦٢	١٨٩٧

جزء ستمار

تليان وزوجته

”غداً يقتلونني أفلست الآن ذلاً جباناً“

هذا ما كتبتُهُ الى عشيقتها امرأةً بدیعة الجمال بعد ان غلبها اليأس واشتدَّ بها الجزع وهي في السجن وقد قضى عليها بالموت . هذه هي تريزيا ابنة الكونت كباروس رجل فرنسوي الاصل اسباني المولد . كانت في سجن ”لافورس“ في باريس مع من طُرِح فيه من الابرياء في عهد الجمهورية الاولى (١٧٩٤) وهم ينتظرون القتل علناً بقلوب واجفة . وكان موعد قتلهم في غد اليوم الذي كتبت فيه ما كتبت وذلك في اليوم التاسع من شهر ترميدور^(١) في السنة الثانية من الجمهورية الاولى

وكانت قد تزوجت قبل الثورة مركيز دي فونتناي وسكنا بوردو . في الثورة قبض عليهم وطرحا في السجن بتهمة ان لهما علاقة بالاشراف والاعيان وانهما كانا ينويان الفرار الى اسبانيا وكان زمام الامر حينئذ بيد روبسبير وانصاره ولم احدى وعشرون الف لجنة من لجان الثورة بثت العيون والارصاد والجواسيس في جميع انحاء فرنسا يأمرن وينهون بما لم يبلغ اليه حول ملك فرنسوي ولا تتجاوزهُ طول طاغية روماني في اكثر ايام رومية بؤساً واشدها ظمأً . فكانوا يحكمون الاحكام الجائرة وينفذونها ولا رادع لهم ولا رقيب عليهم حتى امتلأت السجون بالابرياء من الرجال والنساء

غير ان ما خصت به هذه المرأة من الحسن الرائع والجمال البارح حال دون انزال البلاء بها وبزوجها فانها امتلكت لبّ شاب من اكبر زعماء الثورة اسمه تليان كان قد ارسل من باريس الى بوردو ليستأصل شأفة الملكية منها فبات وهو الامر الذي لا يردُّ له امر لا يستطيع ان يردَّ لها اشارة . وكان قد راها قبل ذلك باربع سنوات وهو عامل في احدى مطابع باريس فافتتن بها . والآن اصبح الرجل الوحيد الذي يستطيع ان ينقذها من الموت فانقذها هي وزوجها

وتليان هذا اشتهر بالمهجوم على قصر التويلري وكان من اشد زعماء الثورة بطشاً واعظمهم فتكاً اتى به بوناپرت معه الى مصر بعد انتهاء الثورة فجاء القاهرة وقضى مدة فيها يحرر الجريدة

(١) الشهر المحادي عشر في روزنامة الجمهورية اولة ١٩ يوليو وآخره ١٨ اغسطس واليوم التاسع منه اي ٢٧ يوليو مشهور لان روبسبير احد كبار زعماء الثورة قتل فيه

الرسمية الفرنسية المسماة "دكاد اجبسيان" ثم عزله الجنرال منو. وكان وضع الاصل ضعيف النسب صغير النفس مثل أكثر زعماء الثورة فلم يكن في معاملته لها أكبر نفساً ولا أكثر مروءة وابوة مما طبع عليه. فصاحبها في بوردو كارهة ثم تزوجها في باريس مكرهة. ولما اكمل ما انتدب اليه في بوردو اخذها معه الى باريس. فنظر روبسبير وغيره من زملائه اليه والى علاقته بها نظرة الشبهة والايحاس لانها من الاشراف تخافوا ان ينقلب عليهم فقبضوا عليها ثانية والقوها في سجن "لافورس" المذكور آنفاً وحكموا عليها بالقتل فكتبت الى تليان حينئذ تستنيره للدفاع عنها فائلة "غداً يقتلونني افلست الآن ذلاً جباناً"

اما تليان فلم يكن الرجل الجبان الذي يصبر على الضيم والاذى ويقعد عن خلاص محبوبته ولكن ما هي حيلته فقد ضحى نفسه في سبيلها المرة الاولى وكاد يفقد ثقة اصحابه به اكراماً لها ولم يحفظ له مكانته عندهم الا ما كان يظهره من الغيرة الشديدة على الثورة ومبادئها. فلم يجراً على الانتصار لها هذه المرة ايضاً علماً بان ذلك لا يجدي نفعاً بل ربما اودى به وبها معاً ولكنه لم يأس ولم يقنط بل سعى سعياً مستمراً لعله يستطيع الى انقاذها سبيلاً. وكانت امه بوابة في منزل بشارع "لابرل" وبجانب السجن منزل فيه بوابة أخرى صدقة لامي فكان يدخل المنزل كل يوم سرّاً فيرى من احدى نوافذه الامراة التي كانت شغله الشاغل ويكلمها تارة بالاشارة وطوراً بالكتابة. ولم يكن يدري بموعد اعدامها حتى جاءته هذه الرقعة منها فهاج وماج وارغى وازبد واقسم لينقذها او يموت

ومهما كانت عيوب تليان ونقائصه فانه كان شجاعاً بطلاً اذا اثير ثار كانه اسد ربائل فرأى ان السبيل الوحيد الى نجاة خليلته قلب الهيئة المتربعة في دست الاحكام حينئذ واثارة ثورة وسط ثورة وتسليط فوضى على فوضى والقذف بروبسبير وانصاره من حلق. ففكر في ذلك ملياً وعقد العزم عليه مع ما يحف به من الاهوال والمخاطر. ولم يرهه الاقدام على هذه الثورة سعياً في تخليص امرأة فاما ان يخلصها او يقتل معها

جاء صباح التاسع من شهر ترميدور وهو اليوم الملقب "يوم الالب" وأعدت المركبات لنقل المحكوم عليهم بالقتل وعدتهم ستة وثلاثون نفساً ووقف الجالّد ومساعدوه في "ميدان الثورة" يشحذون آلات الذبح للساعة العصية. وعقدت الجمعية الوطنية برئاسة روبسبير لتسمع ما يقوله هو وغيره من الزعماء ولكن اعضاءها لم يبدوا من الارتياح ما جرت عادتهم به قبلاً كأنهم ملؤا تلك الحال وكأنهم يرومون اخلاص منها فلا يلزم لذلك سوى عزمة من عزم او

كلمة من قائل حتى يلتفتوا حوله فتقلب آمال روبسبير واتباعه احلاماً وتذهب مساعيهم ضياعاً ولم تعدم الجمعية رجالاً يعزم تلك العزيمة ويقول تلك الكلمة - رجالاً تمرّس بجميع فظائع روبسبير ورجاله ومحارمهم وجزّاراً ترك بورديو ساجحة في بحر من الدماء . فلما أزفت الساعة لقتل الا برياء وازدحم الموقف بجماهير المشاهدين وثب تليان وهيئته واثارته كمن أصيب بمس من الجنون وصاح برجال الجمعية الوطنية ان ينهضوا من غفلتهم ويقاوموا جماعة العتاة الغاشمين الذين اغتصبوا السلطة من ايديهم وصبروا الجمعية الوطنية في حال من الرق والاستعباد لا يصبر عليها وتركوا الجمهورية تسبح في سيل من دماء الا برياء

قال المؤرخ "لنوتر" يصف تليان في تلك الساعة ما يأتي

"وقف وعيناه نقدحان شرراً وصدرة يحيش غيظاً ويغلي غمراً فصعق سامعوه لما رأوا من اقدامه وما سمعوا من فصاحه ثم بعث فيهم روح عزم وشجاعة فصير جمعيتهم التي كانت كأنها جثة من الغراء لاهية فيها ولا شعور ولا حراك جسماً حياً فيه العظم والعصب . ولما أمسك روبسبير من خنقه وجذبه الى الارض من مجلسه لم تمدّ يد لا يقافه عند حذره ولم يعل صوت للاعتراض على فعلته . فهو قد خلّص الجمهورية وفرنسا بل العالم اجمع من غير ان يقصد ذلك او يدري به . ولقد نال مأربة اقدم على ثورة لينقذ من الموت تلك التي احبها"

فانتهى بذلك حكم الارهاب الذي ساد البلاد وكان شعاره اراقه الدماء فتفتحت السجون وأطلق منها سراح المسجونين المظلومين فلم نقل المركبات احداً الى ساحة الاعدام بعد ولا شتمت آلة الذبح لتضريب الاعناق وازهاق الارواح الا حين سيق روبسبير وعشرون من انصاره بعد ايام قليلة الى حيث احتزت رقابهم وختم حكم الارهاب بدمائهم

وعظم شأن تليان بعد هذه الحادثة فصار سيد فرنسا وقائدها وخدمها اجل خدمة في الشؤون العسكرية والملكية معاً . وكان من اعماله انه صار حامي بونايرت حتى لقد قيل انه لولاه ما استطاع بونايرت ان يتوج رأسه بتاج فرنسا

على ان السعد لم يخدمه طويلاً بعد ذلك نعم انه كان راضياً بحالته سعيداً بالحصول على اجل نساء باريس ولكنها هي لم تكن راضية بذلك لانها اعادت عيشة النعمة والترف مع زوجها الاول وتليان لم يكن موسراً ولو شاء لكانت له زروع وأنعم وثروة طائلة مثل غيره من زعماء الثورة الذين عرفوا كيف تغتم الفرص ولكن اباء نفسه حال دون جمعه للال بالوسائل الدنيئة وكان يحسب نفسه اغنى الناس واسعدهم بحبيبتيه والناس يحسبونه كذلك

ولما لم يبق امامه مطمح يطمح بابصاره اليه ولا مطمح يتي نفسه به وكل ما يشتهي عنده

عزم على اعتزال مناصب الحكومة والسكنى في منزل بسيط بعيداً عن الهموم والمشاكل لكن ابنة الكونت وزوجة المركيز لم يرضاها شظف العيش . فقد كانت ناعمة البال مجبورة الخاطر ايام كان تليان يقيم الحفلات ويوم الولايم فيوم داره كل ذي وجاهة وذات دلال ليسجدوا امامها — ايام كانت زوجة بطل ترميدور وسيد فرنسا . اما الآن وقد اعتزل الشؤون العمومية وانزوى في منزل حقير انزواء الراهب العابد في دير او الناسك الزاهد في منسكه فلم يطب لها المقام معه بعد ذلك بل تافت الى عيشتها السالفة وحنّت الى منزلها الاول

وفي ذات يوم افتقدها فلم يجدها . وبيان الخبر ان صديقاً من اصدقائه الاغنياء بنى قصرًا بديعاً في شارع مجاور لمنزله ودعاها لزيارته فسجرت بما رآته فيه وصاحت وقد عرته الدهشة " ما اجمل هذا القصر — هنا السعادة والهناء المقيم " فأجابها صاحبهُ " ما دام الامر كذلك فدونك مفتاحهُ " وكان هذا الحديث المقتضب بدء الفصل الثالث من رواية حياة هذه المرأة التي كانت مركيزة دي فونتناي فصارت مدام تليان والآن سمت نفسها باسمها وهي فتاة قبلما تزوج اي — تريزيا كباروس . وكانت لم تتجاوز الثلاثين من سننها وعادت لاثمتهم بتليان الا لتطلقهُ بأسرع ما يمكن

وبدأ الفصل الرابع من رواية حياتها سنة ١٨٠٥ عند ما تزوجت برنس دي كومان . وكان لها اربعة اولاد من تليان صبي وثلاث بنات ولكنها كانت تبذل الجهد في نسيان ما مضى ولم تلتق بتليان بعد ذلك سوى مرة واحدة وذلك ان ابنتهما البكر واسمها ترميدور كانت مخطوبة للكونت دي ناربون بليه . فازف يوم زواجهما وكان لابد من حضور تليان لامضاء عقد الزواج على كره من اصحاب العرس . فحضر وامضي العقد ببساطة لا يشينها شين وهو الرجل الذي امضى قبل ذلك بعدة سنوات عقد زواج زوجين لولاه لم بصيرا امبراطورين (نابوليون وجوزفين)

ولما انتهى العقد تنازلت التي كانت زوجته ودعته لركوب مركبتها حتى الشانزليزه بجوار منزله الحفير فقبل دعوتها وركبا معاً آخر مرة في الشوارع التي طالما ضجت بصدى الهتاف والابتهاج لرجل جعل لترميدور شأنًا في التاريخ لابنسى وقضى قضاءً مبرماً على حكم الازهاب والاستبداد وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٢٠ نشرت جرائد باريس خبراً موجزاً تنعي فيه الميسو تليان ونقول انه مات فقيراً مدقعاً في منزل حقير وكاد يتضور جوعاً قبل موته لولا ان الملك عين له مرتباً طفيفاً من جيده الخاص جزاء مساعدته له على خلع اخيه

السوريون في اميركا

دارت على اسلافنا الفينيقيين صروف الدهر فانقضوا واندثرت معهم مدينتهم الغربية وصنائعهم العجيبة وباتت مدينتهم صور القديمة التي كانت محط رحال تجارة الشرق والغرب وام المدائن في العالم المعمور في ايامهم عظيمة وثروة وقوة اثاراً طوامس واطلالاً دوارس ماتوا حسب سنة القضاء وشريعة هذا الكيان ولكن مزاياهم الغراء وماثرهم الشماء لم تمت . فقد كانوا مثال النشاط والاقدام والمهمة وافادوا العالم في ايامهم فوائد كثيرة ورث بعضها اهل العصور التي جاءت بعدهم

ولم يبق لنا نحن السوريون شيء يذكر من تلك الفوائد حتى ان آثار بلادهم التي تدل على ما بلغوه من درجات المجد والسعد قليلة جداً بالنسبة الى آثار المصريين القدماء التي ظهرت بكثرة في هذا العصر . غير انهم خلفوا لنا مزية لا تقدر فوائدها وهي الميل الى الاسفار وركوب البحار لاكتساب المال واكثار المنافع . فقد اموا في ايامهم قارات اوربا وافريقية واسيا وابتنوا فيها المدائن التجارية الكبيرة وبشوا روح المدنية . ولو كان افتتاح كولبس للعالم الجديد في ايامهم لكانوا اول من قصدوه وحرثوا اراضيهم واستثمروا خيراته واستخرجوا معادنه وعمرؤا مدائنه ونظموا هيئته الاجتماعية

عرف عامة السوريون منذ نحو ثلاثين سنة أن في الارض بلاداً جديدة تسمى اميركا . وهذه البلاد جزيلة المال عظيمة الاتساع طيبة الهواء وان تحصيل الثروة فيها من الحقق وان حكوماتها عادلة والامن سائد كل انحاءها وان مئات الالوف هاجروا اليها من انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا واليونان وسواها وانهم جمعوا منها الاموال الطائلة وامتلكوا فيها الاراضي الواسعة وان معظمهم جعلوها وطناً لهم واحوالهم فيها من زراعة وصناعة وتجارة على جانب عظيم من التقدم

فهذه الانباء ولدت روحاً جديدة في الذين بلغتهم فطمحت ابصارهم الى مشاهدة تلك البلاد الجديدة نجواها . ولما تحققوا بالخبر ما سمعوه بالخبر ارسلاوا يطلبون عيالهم وانسابهم واصحابهم فاتوا اميركا وجمعوا الاموال الطائلة فاستفادوا وافادوا

ومن نحو ربع قرن حتى يومنا هذا اصبح طريق اميركا طريقهم المطروق وسكتهم المسلوكة فكثرت عددهم فيها وانتشروا في ولاياتها يفتحون ابواب الرزق ويكتسبون المال . فمنهم من

جعل هذه البلاد وطنًا له ومنهم من رجع الى سورية فحسن املاكه بما اخذه من المال او ابتاع بها املاكًا جديدة او نفذت دراهمه لضيق ابواب المعاش في سورية فعاد الى اميركا ثانية وقدم السوريون الى العالم الجديد في هذه السنين الاخيرة امر غريب فلا نرى سفينة قادمة الى هذه البلاد الا وفيها عدد كبير من مهاجرينهم . اما عدد السوريين في المهاجرين فلها فلم يعرف بعد . فمنهم من يقول انهم بلغوا ٢٥٠.٠٠٠ نسمة ومنهم من يقول انهم اكثر ومنهم من يقول انهم اقل . ويقدر ان في الولايات المتحدة وحدها نحو ستين الفا منهم . ولقد سألت حضرة الكاتب الاديب نعم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى عن عدد السوريين في المهاجرين فاجابني ان عدد السوريين المهاجرين مئتان وخمسون الفا ٦٠ الفا في الولايات المتحدة و ٥٠ الفا في اميركا الجنوبية و ٢٥ الفا في اميركا المتوسطة و ١٠ الاف في اوستراليا وبعض الجزائر والباقيون في افريقية والهند والفلبين

ولما كان كثيرون من مطالعي هذه المجلة يودون الوقوف على احوال السوريين في العالم الجديد وكان حديث السواد الاعظم من ابناء سورية في هذه الايام عن هذه الديار العامرة رأيت ان اكتب كلمة في هذا الموضوع وقد قسمت الكلام الى خمسة ابحاث وخاتمة البحث الاول في اعمال السوريين واشغالهم في الولايات المتحدة

فمنهم باعة الكشة وهم العدد الاكبر من المهاجرين الى هذه الديار والاكثر ثروة والوسع تجارة . وحرفتهم شاقة فهم اليوم في هذه الولاية وغداً في ولاية اخرى . وتجارهم محصورة مع جمهور الفلاحين والمزارعين وقد امتازوا باجتهدهم واقتصادهم ولكن استعمال بعض سفلتهم للخداع والغش في معاملتهم نفر جمهور الاميركيين منهم فوقفت حركة اعالمهم عما كانت عليه قبلاً

ولما كثر عدد المهاجرين واخبروا البلاد وسكانها وعرفوا اذواقهم وعوائدهم واخلاقهم ومتاجرهم وصنائعهم اقتصروا على الاتجار بالاقشة الرائجة عند الاميركان كالملبوسات الحربية والصوفية والكتانية وما اشبه فاحسنوا وتضاعفت ارباحهم

ويربح بائع الكشة بقدر سنوياً بنحو ٥٠٠ ريال واذا كان عدد الباعة خمسين الفا كما يقدر فيكون ربحهم السنوي خمسة وعشرين مليون ريال او خمسة ملايين ليرة مصرية . وقد قل عدد الباعة في هذه الايام الاخيرة بسبب كره الاميركي لهذه الحرفة فنجولت انظار كثيرين منهم الى مجارة الاميركان في اعمالهم

ومنهم باعة الحرير وهم فئة الشبان والشابات السوريين المهذبين الذين لم يرتضوا بمعيشة صاحب

الكشة والتجول في البراري والتفجار ومقاساة آلام الحرّ والبرد الوائنا فشرعوا في الاتجار بالبضائع الحربية النفيسة والمطرزات الشرقية مع اغنياء هذه البلاد واكابرها . وباعة الحرير يختلفون عن باعة الكشة في المعيشة وهم اول السوريين الذين تملك فيهم العوائد الاميركية واصبحوا في معيشتهم لا يختلفون كثيراً عن سكان البلاد الاصليين . وهم يكسبون من المال اكثر مما يكسب باعة الكشة . ولكن نظراً لنفقاتهم الباهظة ليس لديهم ما لدى صاحب الكشة من الثروة ومنهم عمال المعامل والطرق والاسواق والمناجم وهم قليلون لا يرجي منهم نفع مادي ولا ادبي لان دخلهم محصور ولا يكاد يكفي نفقات معيشتهم

ومنهم الزراع وهم قلائد جداً بالنسبة الى عدد المهاجرين من السوريين على ان هذه المهنة الشريفة افضل كثيراً للمستقبل السوري من غيرها . وقد اعطت الحكومة بعض الاراضي مجاناً لمن يعمل في الفلاحة والزراعة وعينت لكل منهم ١٦٠ فدانا تملكه اياها شرعياً بعد مرور خمسة اعوام عليها

ومنهم تجار باعة الكشة او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الكشة وهم ذوو ثروة عظيمة وتجارة واسعة ولم سمعة حسنة بين التجار الاميركيين . ونجاحهم موقوف على نجاح بائع الكشة . فاذا دارت حركة تجارة هذا دارت الحركة في شارع واشنطن في نيويورك حيث العدد الاكبر منهم كما ان منهم كثيرين في سائر الولايات المتحدة

ومنهم تجار باعة الحرير او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الحرير وهم ارباب ثروة ومقدرة على التجارة يستجلبون انفس بضائع الشرق واخر بضائع فرنسا وايطاليا والمانيا وسائر ممالك اوربا وكلهم في مدينة نيويورك ثاني مدائن العالم في عدد السكان والحضارة والعمران ولقد نشرت بعض الجرائد الاميركية فصولاً تثنى فيها على همة تجار السوريين ونشاطهم وتفننهم في اساليب التجارة . ولا غرو فان بيننا منهم من يفخر بذكرهم ويعطر اسم الجالية السورية

ومنهم تجار الرياش الشرقية عموماً والسجاد التركي والعجمي خصوصاً . وهم يزاحمون الارمن على هذه التجارة المهمة . اما محلاتهم التجارية فهي في المدائن التي يؤتمرها اغنياء الاميركان في فصلي الصيف والشتاء ترويحاً للنفس

قال لي احد المتعاطين لهذه التجارة من شباننا الادباء ان هذه المهنة اشرف المهن واجزها ربحاً فان تجارتها محصورة مع اكابر الاميركان واغنيائهم وارباحها طائلة وانه كما زاد رأس مال صاحبها كثرت ارباحه

ومنهم ارباب الجرائد والاطباء . وجرائدنا العربية اليوم في الولايات المتحدة ثمانى جرائد وهي كوكب اميركا اقدم جريدة عربية في العالم الجديد والهدى ومراة الغرب والصخرة والمحيط والاقبال والراوي والمهاجر . وهي تدخل الممالك العثمانية ما عدا الثلاث الاولى لانها حرة . ولقد كانت حالة صحافتنا فيما مضى غير راضية بسبب كثرة مناظراتها التي لا طائل تحتها . واما اليوم فخالها سارة واقوالها مفيدة . وقد انشئت عدة جرائد غير التي ذكرت الا انها ماتت لقلة مكاسبها وفي نية بعض ادبائنا انشاء جرائد جديدة

وبيننا جماعة من ارباب الاعلام لم يرتضوا بخدمة الادب لان بضاعة القلم مازالت كاسدة عندنا كما هي الحال في سورية . ولذا تراهم يفضلون المراكز المادية على المراكز الادبية فصار اكثرهم تجاراً وكانت النتيجة حرمان الامة السورية من علومهم ومعارفهم

البحث الثاني في الداعي الى المهاجرة

اسباب المهاجرة في هذه السنين الاخيرة هي اولاً ضيق ابواب المعاش في سورية . وثانياً فساد بعض عمال الدولة العثمانية ومأموريها فما احرى حكومتنا ان تسد الخلل وتحسن الشؤون والاحوال

هذا شول بغداد المهجور الفسيح الارجاء . وهذه بادية الشام واراخي باشان . وهذه سهول موآب وادوم الوسيعة . فلو ساد في اطرافها الامن ووجهت الدولة اليها انظارها ووهبتها لفلاحي البلاد ليحرقوها ويزرعوها ويستثمروها لجادت عليهم بالخيرات الكثيرة

البحث الثالث في معيشة السوريين وعاداتهم

تخلق السوريون ولا سيما ادباؤهم بكثير من اخلاق الاميركيين في وقت وجيز من الزمن واقتبسوا عاداتهم ولكنهم ظلوا محافظين على عاداتهم ومعيشتهم الشرقية ايضاً . فهم مع الاميركي اميركيون ومع الشرقي شرقيون . فاذا زارهم اميركي عاملوه كما يعامله ابن بلاده وما زار اميركي سورياً الا خرج مادحاً ما لقيه من حسن ضيافته ورقة اخلاقه ومتعجباً كيف ان هذا الشرقي الحديث العهد في بلاده جاره في مصطلحاته وباراه في عوائده وكاد يسبقه في افقائها

وقد افتتح السوريون مطاعم فيها من جميع المأكولات والمشروبات السورية . فاذا جاء قادم من الشرق ومراً على تلك المطاعم في شارع وشنطن في نيو يورك خال نفسه في سورية اما الالاقاب فلا يزالون محافظين عليها ايضاً . فكل من الكتاب والشاعر والاديب

والطيب والوجيه والرئيس والزعيم يلقب بالانندي والشيخ ما زال شيخاً والامير ما برح اميراً اما الذين ولدوا في هذه البلاد الجديدة وشبوا فيها من الشعب السوري فلم يعودوا يرتضون بمصطلحات بلادهم وعوائدهم بل اصبحوا يفضلون المعاشرة والمخالطة مع جمهور الاميركيين على معاشرة السوريين حتي ان معدهم لم تعد تقبل المآكل السورية

البحث الرابع في ما افادت مهاجرة السوريين الى العالم الجديد

لا مشاحة ان فوائد الاغتراب محققة ومعروفة ولا سيما اذا كان الى بلاد زاهية بالتدني وازاهرة بالحضارة والعمران . فلولا الاغتراب لما بلغ عصرنا ما بلغه من التقدم والارتقاء . ولولا اختلاط الشعوب النخطة بالشعوب الراقية لظل عصرنا معدوداً من العصور المظلمة بالجهالة والتقهقر . فاغتراب السوريين الى العالم الجديدة افادهم فوائد كثيرة اليك بعضها

الفائدة الاولى الثروة : كانت ثروة سورية قبل افتتاح طريق اميركا قليلة بالنظر الى حاجة عامة الامة فتغيرت الحال كثيراً الآن . هذا جبل كسروان فلولا اميركا لظلت مساكنه اكواخاً واهلوه يقاسون عذاب الفقر والفاقة . وهذا جبل لبنان فلولا اميركا لما كثرت دورهُ النخيمة وتحسنت املاكه وارضيه وتساهى فقيره بغنيهِ . وهذا وادي التيم فلولا اميركا لبقي فقيره مدوساً فقد كان صاحب المئات في تلك النواحي يعد من اكابر الاغنياء فاصبح اليوم محسوباً من اصاغر الفقراء وكان ربا المئة غرش هناك ثلاثين غرشاً في السنة واكثر فامسى الآن خمسة غروش للتجار وثمانى او تسعة لبقية الناس

وهكذا قل في جبل القلمون وغيره من الكور والقصبات والضياع والمزارع التي جاء بعض اهلها الى اميركا . فان حالهم كانت كماله اخوانهم في جبلي لبنان وكسروان وفي وادي التيم . واما اليوم فقد تحسنت شؤنهم وتوفرت اموالهم

وارتفاع اسعار الاراضي في سورية بعد هذه المهاجرة وكثرة المال فيها امران يدلان على ان اميركا اكثرت ثروة القطر السوري الى حدٍ لم يحلم به احد من اجدادنا . ومن اين رأس مال تجارة السوريين في العالم الجديد بل من اين ملايين الريالات التي يملكونها اليوم

الفائدة الثانية الاستقلال : سنة ١٧٧٦ اشترى الاميركيون استقلالهم بدمائهم التي جرت كالانهار بعد معارك شهيرة وفي مدة ١٢٩ سنة اصبحوا في مقدمة العالم بالاختراعات والصنائع والفنون والعلوم والقوة والمال والنفوذ . وكل هذا التقدم السريع الغريب هو ثمرة ذلك الاستقلال والسوريون المهاجرون الى بلاد الاميركيين تمتعوا بهذا الاستقلال ولكن بلا سفك دماء

بل بالاخلاق والاقتداء . فصاروا يقاومون كل سلطة مستبدة باقوالهم وافكارهم ويقاوتون كل ظالم مكابر بكتاباتهم واموالهم . ولقد ظهرت فوائد الاستقلال بين هذا الشعب المهاجر فكبرت نفسه وسمت مطالبه وتشددت عزائم وحلقت ابصاره الى طلب المعالي

الفائدة الثالثة النشاط : ان السوري نشيط وقد وصف بذلك ولكن حالة بلاده الداخلية افقدته نشاطه لان كل سبب من اسباب العمران فيها على جانب من الانحطاط . ولما هاجر الى بلاد التمدن ورأى فيها ميادين السباق عادت اليه روح النشاط فقرنه بنشاط الاميركي فصار يغالب العالم بهمة شماء فاستفاد وتقدم واخذ في مسابقة الاميركيين انفسهم

الفائدة الرابعة ان كل عمل محلل شريف : من اقبح العوائد في القطر السوري ان ليس كل عمل محلل شريف فالفلاح والصانع والعامل والخدام ليسوا شرفاء عند السوري المدعي التمدن وانما العمل الشريف عنده هو تعاطي خدمة الحكومة او القلم او العلم لا غير . فكل من هؤلاء اذا قيض له ان يكون مأموراً عند الدولة ثم عزل فلا يرجع الى مهنته ولو اضطره اقلاله الى التسوّل ظناً منه ان العمل عار عليه ، والوجه او المثري او الكبير الذي ساعدته الايام ليكون كبيراً بوجهته او بماله او بنفوذه او برجاله اذا عانده التوفيق وسطا عليه الدهر فلا يعود الى تعاطي تلك الحرف زعماً بان هذا التنازل يحط من قدره ومقامه وشرفه واي طالب علم في سورية يعمل في الحصاد وما اشبه في ايام عطلة المدرسة كما يفعل طلاب العلم في العالم الجديد فان الطالب الاميركي يقضي ايام العطلة في العمل إما في الحصاد او في المعامل او في الطرق او في المطاعم او في الاستخدام معتقداً ان "كل عمل محلل شريف" وانه ما من عار على من يعمل بل على من لا يعمل

وقد اقبلت المواسم في العام الماضي في بعض الولايات المتحدة الجنوبية فاضطر الفلاحون والمزارعون الى فعلة كثار لحصاد مزروعاتهم فاذا عاوا انهم يدفعون اجرة اليوم من ربالين الى ثلاثة ريالات لكل من يريد العمل عندهم . ولما بلغ الخبر كثيرين من طلبة الكليات الخارجين الى العطلة المدرسية ذهب عدد عظيم منهم للعمل في الحقول فعملوا بنشاط وحصلوا نصيبهم من المال غير متوهمين ان في العمل منقصة او عاراً او اهانة كما يتوهم ابناء سورية . وقد ذكرت ذلك جريدة الهدى في نيويورك في وقته . فالسوريون المهاجرون استفادوا من الاميركيين هذه الفائدة العظيمة ولذا نراهم يتقلبون في الاعمال كما سئمت الفرصة

البحث الخامس في مستقبل السوريين في العالم الجديد

لا يمكننا الجزم بما يكون مستقبل السوريين في هذه البلاد تماماً ولكننا نقول بالاجمال

انه سيكون مجيداً للاسباب الآتية وهي

- اولاً . اتساع ثروتهم
- ثانياً . تقدم تجارتهم وامتدادها واهتمامهم المتواصل بتحسينها ومجاراة الاميركيين
- ثالثاً . نشاطهم في اعمالهم كما سبق الكلام عنه في البحث الرابع من هذه المقالة
- رابعاً . جمعياتهم المتنوعة الآيلة لخيرهم الادبي والمادي والاخذة بالتقدم والتحسين والامتداد الى كل مدينة وجد فيها سوريون من مدن هذه الولايات
- خامساً . اهتمامهم بتهديب ابناءهم رجال الاستقبال الذين يتوقف عليهم حسن مستقبلهم وازدياد تقدمهم
- سادساً . انتشار جرائدهم والاهتمام بتحسينها وتقدمها واكثارها ونشرها للمواضيع المفيدة
- سابعاً . انهم في الولايات المتحدة العظيمة التي سبقت العالم او كادت في كل فن ومشروع مدني وعمراني ولم مجال واسع للاقتداء والتقليد

الخاتمة

لما كانت العلاقة شديدة بين السوريين المهاجرين او المتغربين الى اميركا فقد رأيت من الضروري ان اختم سطوري بنصائح لابناء وطني السوري العزيز

النصيحة الاولى . على من يريد الحجيء الى الولايات المتحدة ان يكون صحيح الجسم والعيون . فان كان ذا مرض معدية وكانت عيناه ضعيفتين فلا يدخل هذه البلاد

الثانية . ان يحضر معه مقداراً قليلاً من المال ينفقهُ قبل شروعه في العمل

الثالثة . ان يكون اقراره في ادارة المهاجرة في نيويورك كقارره في مرسيليا بالحرف الواحد وان يكون حسن الملابس نظيفها ما امكن اذا وقف امام هيئة الادارة المذكورة .

والاقرار هو سوالات تطرح على القادم المهاجر في الكمبانية في مرسيليا حيث يقطع جواز السفر ثم في ادارة المهاجرة المشار اليها . والسوالات هي كما يأتي

- (١) الى اين تقصد الذهاب
- (٢) ما هي صنعتك وماذا تقصد ان يكون شغلك في الولايات المتحدة
- (٣) هل لك اقارب هناك واذا كان لك فما هو عنوانهم
- (٤) كم هي كمية الدراهم التي تزيد معك عن ثمن جواز سفرك
- (٥) هل انت اعزب او متزوج فاذا كان متزوجاً وترك امرائه واولاده فالكبانية

تصححه ان يكون اقراره انه اعزب لان ادارة المهاجرة لا تسمح له بالدخول اذا كان متزوجاً وقد ترك عائلته في بلاد بعيدة

الرابعة . ان كل امرأة غير مصحوبة بعلها او اخيها لا تدخل وكل ابنة غير مصحوبة بابيها او اخيها لا تدخل ايضاً

الخامسة . ان لا يحسب ان المال في اميركا ملقى في طرقها وشوارعها فان المال يتطلب مشقات ومتاعب كثيرة لا يستطيع تحملها الا الذي عضه الفقر وتعود الدأب والتعب . فكل من تعود الثرف والراحة الجسدية في بلاده وكان فقيراً فننصح له ان لا يأتي اميركا لان العاقبة وخيمة والندم لا يجدي نفعاً

السادسة . ان يحسب انه اذا كان دخله الشهري في سورية ٣٠٠ غرش فهذه القيمة افضل من ٦٠٠ غرش في الولايات المتحدة لان ما يكفيه عاماً في بلاده نفقة لا يكفيه في اميركا ثلاثة شهور

السابعة . ان كل من يجمل لغة اميركا وكان بلا رأس مال لا يستطيع العمل بغير الكشة وقد سبق الكلام عن اشكال الاتعاب التي يقاسيها صاحب هذه الحرفة الثامنة . ان مخاطر اميركا كثيرة . فان صواعقها وزوابعها هائلة وكثيراً ما دمرت الدور والمساكن واقتلعت الاغراس وذهبت بالارواح وقطرها الحديدية وسائر الآلات التجارية المتنوعة والمتوفرة في الولايات المتحدة طالما قطعت الايدي والارجل وهشمت الاعضاء واماتت العباد . وكثرة الامطار طالما فعلت فعل الزوابع والصواعق والقطر الحديدية . فقد هطلت اياماً في هذا العام فسببت طوفاناً في بعض بلدان الولايات فكانت النتيجة موت الوف من الناس غرقاً وخسارة ملايين الريالات

والتقلبات الجوية في هذه البلاد ليس ضررها باقل من اضرار المخاطر المذكورة آنفاً . فكثيراً ما يتغير الطقس في النهار من حر شديد الى برد قارس فيسبب هذا التغير السريع عللاً صدرية واضراراً صحية مختلفة في جسم السوري الذي تعود اعتدال اقليم سورية وتقواة هوائها وترتيب فصولها وطيب مائها

التاسعة . انه اذا تحسنت شؤون سورية الزراعية والصناعية والتجارية والادارية ولو

بوسف جرجس زخم

الريشاني

قليلاً فهي افضل بلاد للاقامة فيها

الولايات المتحدة

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابراهيم باشا

ذكرنا في الجزء الماضي استيلاء ابراهيم باشا على قلعة عكا وانهزام الجيوش العثمانية امامه في واقعة حمص نقلاً عن الدكتور ميخائيل مشافه الذي رأى تلك الواقعة مرأى العين وكان له شأن فيها . وها نحن ممتون اخبار ابراهيم باشا نقلاً عنه قال : —

اقام ابراهيم باشا في حمص يوماً واحداً . ويوم الاثنين عاشر صفر سنة ١٢٤٨ خرج بالعساكر في طريق حلب وقبلما وصل اليها التقى بحسين باشا قادماً لمقاتلته ومعه اربعون ألفاً من العساكر فانكسر حسين باشا وبقي ابراهيم باشا سائراً الى حلب ففتحت له ابوابها فرتب امورها وارسل والياً الى ايلة اورفه وسار نحو بلاد الترك واستولى على ايلة ادنه بغير حرب لان البلاد كلها خافته . وسار الى قونية فهرب محافظوها ودخلها بعسكره ولم يكن قد بقي معه سوى اثني عشر ألفاً لانه ترك بعضهم للمحافظة على البلاد التي فتحها وفتك الهواء الاصفر بالبعض الآخر . وبلغه حينئذ ان الصدر الاعظم وصل الى قرب قونية ومعه مئة وخمسون ألفاً من الجنود بالمدافع والمهمات الحربية الكثيرة فخرج اليه بعساكره القليلة وهي بقيادة سليمان باشا الفرنسي فالتقى الجيشان ونشب القتال وكان الصدر الاعظم راكباً جواده يجول بين العساكر يحرضهم ويشجعهم وكان الضباب كثيفاً والدخان منتشرًا يعمي الابصار ورأى ابراهيم باشا كثرة عدد خصومه وعدد رجاله فيئس من النجاة ووقف لا يدري ماذا يعمل ومرّ به سليمان باشا الفرنسي وهو على تلك الحال فقال له اراك تجهل ابواب الحرب ولا تفرق بين الغالب والمغلوب فان نظام خصمنا قد اخلل وستدور الدائرة عليه قريباً واما نحن فلم يزل ترتيب جنودنا على ما يرام فتشجع ولا تخف لاني اعتقد ان عسكرنا هذا القليل يكفي لقهر خصمنا ولو كان ضعفي ما هو

فاشدت عزيمة ابراهيم باشا وزاد تحريضه لرجالهِ . وبقي الصدر الاعظم يجول بين عساكره في مقدمتهم ولشدة الضباب دخل بين الجنود المصرية وهو لا يدري فاحاطوا به وقبضوا عليه واتوا به الى ابراهيم باشا فقام للقاءه واستقبله بالاحترام اللائق برتبته ونودي في الجيوش التركية ان الصدر الاعظم اخذ اسيراً فاخلى نظامهم واركنوا الى الهزيمة تاركين ما معهم من ميرة وذخيرة للمصريين

اما ابراهيم باشا فسار ومعه الصدر الاعظم الى قونية ثم بعث به الى الاسكندرية وارسل
بشائر انتصاره الى جميع البلاد الشامية وبلاد الترك التي فتحها . ولما استراح عسكره نهض
به قاصداً ايالة كوتاهية فهرب حكامها من وجهه ولم يبق من يعارضه لان الرعب ملأ القلوب
فدخل كوتاهية من غير مقاومة وجعل فرسان الهنادي يسرون الى مدينة ازمير فلا يجدون
من يعارضهم مع انها كانت لا تزال في حكم الدولة

وحينئذ بعث سفير انكلترا وسفير فرنسا الى ابراهيم باشا ليقف عن التقدم حتى يأتيه امر
من والده لان الدول الاوربية كانت قد توسطت في ازالة الخلاف من بينه وبين الباب
العالى فوقف الى ان قرّر القرار على ان يبقى لمحمد علي ايلات صيدا وطرابلس والشام وحلب
وادنه ويعود ابراهيم باشا بجنوده الى سورية

وحضر شريف باشا الى دمشق حكمداراً على بلاد الشام من حلب الى غزة وهو من
اقرباء محمد علي وكان على جانب كبير من الذكاء والانصاف الا انه كان صارماً جداً لا يشفق
على مذنب ولا يرحم مسترحماً فامات كثيرين بضرب السياط فالذي يستحق ذنبه الضرب
عشرين سوطاً يضربه خمس مئة سوط وكان عنده للضرب رجل مصري اسمه علي يفتخر بانه
يجلد الانسان على رجله اربع جلدات فيخرج الدم منهما وقد شاهدته يجلد انساناً أغرمي عليه
والدم ينزف من رجله . لكن شريف باشا كان عادلاً صادقاً في كلامه ومواعيده
فرتب الولاية والمجالس على احسن حال وجعل لها مجلس استئناف في دمشق لاستئناف
الاحكام واطلق الحرية التامة للقضاة ليحكموا كما يتراءى لهم وترفع الاحكام الى حنا بك بحري
فينظر فيها ويعلق عليها ما يبدوله من الملاحظات ويردها الى المجلس فاذا رأى اعضاؤه ان
بحري بك مضىب عملوا برأيه والآدات المناقشة بينهم وبينه الى ان ينجلي الحق ويعمل به
وفرض ابراهيم باشا على الرعايا مالا سنوياً سمي اعانة وهو يختلف حسب غنى الانسان
وفقره من خمس مئة غرش في السنة الى خمسة عشر غرشاً حتى يكون المتوسط مئة غرش
فاكثر وكان الريال العمود حينئذ بخمسة عشر غرشاً فاستثقل الناس ذلك من مسلمين
ونصارى ولا سيما سكان القرى الذين يدفعون الاموال عن اراضيهم واغراسهم ومواشيهم
ونخلهم وعسلهم وزاد على النصارى منهم مال جزية رقابهم كاهالي حاصبياً فوق الامير سعد
الدين في ارتباك عظيم لانه لا يستطيع ان يخالف اولياء الامر ولا يرى ان الرعايا قادرون
على دفع ما فرض عليهم فامرني بالتزول الى دمشق ومعني ورق ايض عليه ختمه لكي اكتب
عليه باسمه ما اراه لازماً فاتيت دمشق وكان كاتب مجلس الشورى يميل اليّ وبيننا قرابة

وصداقة فقدمت كتاباً من الامير سعد الدين الى شريف باشا يقول فيه انه ارسلني وكيلاً عنه لترتيب اعانة بلاد حاصبيا في مجلس الشورى . فاحال شريف باشا هذا الكتاب الى المجلس فاخذته الى الكاتب فوجدني بانجاز طلبي حالاً فقلت له ارجوان يؤخر الى ما بعد غيره وجعلت احرك وكلاء البلاد للشكوى من ثقل هذه الاعانة فكتبوا يتشكون ويسترحمون ونجح المعلم بطرس كرامة في تنزيل فئة الاعانة عن اهالي لبنان الى خمسين غرشاً وجعل عدد الرجال المكلفين اربعين الفاً لا غير مستثنياً الامراء والمشايخ وائمة الدين من مشايخ المسلمين وخطباءهم ومطارنة النصارى وخوارنتهم ورهبانهم ومشايخ العقل عند الدروز وخواصيتهم وخطباءهم فكانت جملة الاعانة المفروضة على اهالي لبنان اربعة آلاف كيس وفرضت الاعانات على سائر البلاد على هذه النسبة وكان البقاع اقلها وهو ٣٥ غرشاً على المكلف وحينئذ اجتهدت في تقليل اعانة حاصبيا فجعلتها ٣٠ غرشاً على المكلف واما دمشق فلم يحسن اهاليها التصرف في ترتيب فئتها فجعلت ١١٠ غروش وبلغ المفروض عليها اكثر من اربعة آلاف كيس سنوياً . واكثر اهاليها من الصناع الفقراء فوقع عليهم ضنك شديد لان لاغنياء الذين فرض عليهم مبلغ كبير قليان جداً

ثم شرعت الحكومة المصرية تمنع الامراء والمشايخ من الاستقلال في حكم بلادهم وجعلتهم مأمورين من قبلها برواتب معلومة لا تساوي عشر ما كانوا يجمعونه من بلادهم ثم صارت نزعهم منها وتولي غيرهم لكن الامير بشيراً استصدر امراً من محمد علي باشا الى شريف باشا ليتركه مستقلاً في اماره لبنان فاستثقل شريف باشا ذلك ولبث يتحين الفرص لنزع هذا الامتياز من الامير بشير . فنزع اولاً استقلال الامراء الخرافة في بلاد بعلبك ورثب لم معاشاً وفعل مثل ذلك بامراء حاصبيا وراشيا وذلك سنة ١٢٥٠ فصممت حينئذ على سكن دمشق فخضرت اليها وسكنت فيها وكنت لاحظ اشغال الامير سعد الدين عند الحكومة وفي مجلس الشورى وعندى ختمه على ورق ابيض

ولما تآدى المصريون في تغيير عادات العشائر وفرض الاموال الطائلة على الاهالي نفرت القلوب منهم وصار سكان البلاد يتمنون رجوع حكم الاتراك وجاهر بعضهم بالعصيان فاضطر المصريون ان يكثر عساكرهم لمنع الثورات واول من عصا طائفة النصيرية في جبال اللاذقية فارسلت الجنود من لبنان وحاصبيا وراشيا لتأديبهم فقهرتهم اولاً ودخلت جبالهم وامتلكت اماكن كثيرة فيها ثم تغلبوا عليها وقتلوا كثيرين منها فعادت الى اللاذقية لكن جاءتهم نجدات قوية فاحمدوا ثورة الثائرين

ثم شرعت الحكومة المصرية في اخذ العساكر من الاهالي وكانت لا تراعي نظاماً مخصوصاً ولا تجند الجنود الى اجل معين وذلك جعل الشبان يهربون من وجهها الاً مسلي لبنان ودروزه فان الامير بشيراً امر ان لا يجند احد منهم الاً باختياره فلم ينزع منهم احد واما في المدن الكبيرة كدمشق فان الجنود كانت تجول في الشوارع وتقبض على كل الشبان الذين يتقدم وكل من وجد منهم صبيح الجسم ادخلوه العسكرية ولو كان وحيداً لوالديه بل ولو كان له اخ في العسكرية ولم يبق في بيت ابيه غيره

واستقل اهالي نابلس وطاة الحكومة فجاهروا بالعصيان وهم ابطال مجربون فقام اليهم ابراهيم باشا بعساكره فخاربوه وضايقوه وكادوا يقبضون عليه وبلغ خبره اياه في مصر فخصر بنفسه الى يافا لكن ابراهيم باشا نجا منهم ثم اغراهم بالطاعة وقبض على كبرائهم وقطع رؤوسهم وسنة ١٢٥٣ عصى دروز جبل حوران بسبب المغارم الكثيرة فبعث شريف باشا ٥٠٠ من فرسان الهوارة عليهم ظاناً انهم يكفون لتأديبهم لكنهم بيتوا الهوارة وذبحوهم الاً القليل منهم وغنموا خيلهم واسلحتهم . وطار الخبر الى شريف باشا فارسل عليهم ستة آلاف من الفرسان والمشاة . اما الدروز فانهم تحالفوا مع عرب السلو وطجأوا الى اللجاة بعيالهم وهي عسرة المسالك جداً طولها عشرون ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً كثيرة الصخور والشقوق يتعذر على الغريب السلوك فيها فدارت الدائرة على الجنود المصرية ولا سيما بعد ان جاء الشيخ شلي العريان لمساعدة الدروز وكانت الدواب ترسل من دمشق بالميرة وتعود بالجرحي حتى دعت الحال الى مجيء الدكتور كلوت بك الفرنسي من مصر ومعه بعض الاطباء لكثرة الجرحي واخيراً قام شريف باشا وذهب الى اللجاة بنفسه ومعه جيش كبير فانهزم الدروز من امامه اولاً حتى اذا توسط اللجاة في مكان عسر المسالك عادوا عليه وقام الذين كانوا كامنين له وراء الصخور واطبقوا على عسكره وذبحوه ذبح الغنم وفاز شريف باشا بالفرار ولكن قتل اكثر الذين كانوا معه واستولى الدروز على اسلحتهم وامتعهم واشتدت عزائم الدروز وكثرت جموعهم بمن كان ينضم اليهم وصاروا يرسلون سرية وراء سرية للقبض على الميرة الواردة الى الجيش المصري بطريق عكا

وبلغ ابراهيم باشا ما حل بمجنوده من الدروز وكان في حلب فاتي دمشق وجوز جيشاً كبيراً وسار لقتالهم فلم ينل منهم مارباً لان جنوده كانوا يخافونهم فانتقل الى سهل تسهل الحركة فيه على الجيوش المنظمة وبعث فرسان الاكراد امامه وسار في اثرهم ببقية الجيش حتى اذا بلغ الاكراد ارض دامه اطبق عليهم الدروز وكسروهم شر كسرة فدافع عنهم ابراهيم باشا بالجنود النظامية

وكان الرعب متمكناً من قلوب جنوده كما تقدم فانهمزوا امام الدروز وجده الدروز وراءهم وسدوا عليهم الطرق ولم يتمكن ابراهيم باشا من الخروج من اللجاة الا بعد عناء شديد وخسارة كبيرة نعد الى منع الماء عنهم وكانوا يشربون من مياه في لحف اللجاة فعزم على دس السم فيها وطلب من كلوت بك ان يذيب السليمان في حتى يصبه لهم في الماء فابى كلوت بك ان يفعل ما امره به قائلاً ان صناعتي لا تجيز لي ذلك لا سيما وان الذين يشربون من الماء ليسوا الرجال فقط بل النساء والاطفال ايضاً . فقال له ابراهيم باشا اني لا اخدعهم بل اخبرهم بما فعلت فاصر كلوت بك على انه لا يفعل ذلك . وكان في العسكر المصري غير كلوت بك من العارفين بن الكيمياء فالزمهم ابراهيم باشا باذابة السليمان واشترى كل ما وجد منه في اسواق دمشق فاذا به وصبوه في الماء الذي يستقي منه الدروز فمات بعضهم عطشاً واضطروا ان يتركوا اللجاة ويمضوا الى بلاد راشيا وعرقوب حاصبيا . وكان في راشيا طابور من العسكر المصري في سراي الامير افندي فحاصروه واضطروه الى التسليم والرجوع الى دمشق ثم تبعوه في الطريق وذبحوه عن آخره وبلغ ابراهيم باشا ذلك فكتب الى الامير بشير ان يرسل ابنه الامير خليل الى حاصبيا ومعه ثلاثة آلاف من اللبنانيين فرساناً ومشاةً ونهض هو من دمشق بالعساكر قاصداً راشيا عن طريق الدياس حتى اذا بلغ وادي بككا التقى بالشيخ ناصر الدين العادقادماً من لبنان بالف رجل من دروزه لمساعدة الدروز في راشيا فنشب القتال بين الفريقين وكان الشيخ ناصر الدين من الابطال الممدودين ولكن اصاب برصاصة غرة فتبلاً واتجأ رجاله الى ربوة كثيرة الصخور والادغال ولا ماء فيها فاحاط بهم العسكر المصري فاصلوه ناراً حامية الى ان فرغ بارودهم واستمر العسكر يطلق الرصاص عليهم الى ان انقائم . قال ابراهيم باشا في كتاب بعث به الى شريف باشا انه رأى منهم رجلاً واحداً فاز باللجاة لانه لم يصعد الربوة معهم اما انا فبلغني من اهالي بنطا المجاورة لمكان الواقعة انه نجى منهم اربعون نفساً والظاهر ان ابراهيم باشا لم ير غير الذي اخبر عنه

وبلغ الدروز في راشيا قدوم ابراهيم باشا عليهم فهربوا الى ارض جنعم من بلاد حاصبيا بالقرب من قرية شعبا . وشرقي جنعم جبل الشيخ وغربها الجبل الوسطاني وهو عسر المرتقى يفصل حاصبيا وبعض قراها عن جنعم والتف عليهم كثيرون من دروز حاصبيا وبلادها وبلاد راشيا واقليم البلكان وانا هم شبلي العريان من اللجاة فارسل ابراهيم باشا الى الامير خليل ليوافيه برجاله الى جنعم ولما التقى بالدروز اصلاهم ناراً حامية الى ان دارت الدائرة عليهم واستأمنوا وارسالوا اليه الشيخ حسن البيطار من عقال راشيا يلتزم لهم الامان وكانت عباءته مخترقة من الرصاص وكان ابراهيم باشا

يعرفه ويسر بكلامه فقال له ' ألم نزل حياً فقال انظر ما في عبايتي من خروق الرصاص والباري سيجانه لم يسمح بقتلي فان شئت انت فانا بين يديك . فقال له ' انا لا اشاء قتل احد ولكن قومك يسعون في قتل انفسهم . فقال الشيخ انهم اتبهوا الآن من غفلتهم وارسلوني اطلب لم العفو والامان . فقال ابراهيم باشا ذلك لم على شرط ان يسلوني سلاحهم . فقال الشيخ انهم خاضعون يفعلون كل ما تأمرهم به فاصدر امرك بمرسوم الامان وليتوجه معي مأمور لكي تجمع السلاح ونسلمه له . فكتب المرسوم وذهب المأمور فاعطوه السلاح وعندهم غيره

ونهبت خلوات البياضة في هذه الحوادث وهي للدروز بمثابة الاديرة للنصارى (واستطرد المؤلف هنا الى ذكر عقائد الدروز والى حادثة البادري توما الذي قتل في دمشق وانهم اليهود بقتله وغير ذلك من الحوادث التي ليس لها شأن كبير في تاريخ ابراهيم باشا) الى ان كانت سنة ١٢٥٥ فارسل السلطان محمود جيشاً كبيراً لمحاربة ابراهيم باشا واخراجه من سورية فمضى ابراهيم باشا الى حلب وجمع عساكره والتقى بالجيش التركي وانتصر عليه ووجد بين اوراق السر عسكر فرمان الولاية على الشام لعللي اغا كاتب الخزينة

وكان شريف باشا والي الشام ناقماً على علي آغا هذا لانه كان وجيهاً عند ابراهيم باشا وكان ابراهيم باشا ينزل في داره كلما جاء دمشق ويسر بمسامرته ونوادره . وحضر علي آغا حرب نابلس التي اشتد فيها الضيق على ابراهيم باشا واطهر حينئذ من الشجاعة والبسالة ما رفع منزلته عند ابراهيم باشا ثم سار معه لمقابلة محمد علي باشا لما جاء الى يافا . وكان يخدم الحكومة المصرية مجاناً لم يقبل وظيفة ولا انتفع بشيء وعرض عليه ابراهيم باشا وظائف تليق به فاعتذر عن قبولها . وقال له ' ابراهيم باشا في مجلس شراب الى متى اعرض عليك الوظائف وانت تأبأها فقال علي آغا اني اخدمك في كل ما تريد الا الوظائف المرتبة فاني لا اقبلها . وكان حاضراً حسن بك الكحالة الدمشقي متسلم القدس فقال له ' اما خدمت في اللاذقية متسلماً ثم صرت متسلماً في حماه . فاغتاظ ابراهيم باشا منه وقال له ' هل الوزراء الذين خدمتهم اعظم مني . فقال كلا ولكنهم ما كانوا يسألون عن تصرفي واما دولة مصر فتعاقب خادما اذا تناول هدية ولو ديكاً فتجسسه ويحضر القبطي يكتب جورنال الدعوى بعينين مزورتين ويلحظني شزراً كما في قاتل اباه' ويقول قرّر فلان وقرّر فلان وتكون الدعوى على ديك او حزمة فجعل اجعل نفسي لاجلها اسيراً وخير لي ان ابقى حراً اقبل هدية الثور والجل ولا احد يسألني . فقال له ' ابراهيم باشا اني ارتب لك راتباً يكفيك ويرضيك فلا يبقى لك عذر ولا حاجة الى الهدايا . فاجابه ان الباري تعالى عندما خلق السموات والارض خلق الانسان في البحار

والحيوانات في البر والطيور في الجو وجعل جنة فيها من الاشجار انواع شتى من كل ما تشتهيه
الانفس ثم استحسن ان يخلق حضرة اينما آدم نخلقه على صورته في غاية الكمال وافاض عليه
روح النبوة وجعله حاكماً على جميع مخلوقاته من البهائم والاسماك والطيور والاشجار والاعشاب
لا يزاخه فيها انسان آخر واخص الله لذاته شجرة واحدة ونهى آدم عنها فعصاها كل منها
وبدري. فهما اعطيني لا تقدر ان تعطيني ما اعطاه الله لآدم وانا ابنه فلا بد وان يكون
طبعي مثل طبعه ولا اقف عند نهيك فتعاقبني فخير لي ان ابقى خارجاً عن وظائف الحكومة .
سراً ابراهيم باشا بهذا الجواب واقنع به . لكن لما رأى فرمان التولية له من الباب العالي امر
بتوقيعه في محل بدار الحكومة . وكان شريف باشا كارهاً له كما تقدم فعمل مجلساً لاثبات
نهم اثمته بها . وكان علي آغا يبرهن على براءته منها وكنت اقف على كل ما يقال في
الجلسات من الامير محمود حفيد الامير بشير فانه كان يحضرها بامر شريف باشا ولم يذكروا
له فرمان الولاية ولا هو كان عالماً به (كما ثبت لي بعدئذ من علي بك ابن خليل باشا الذي
حضر دمشق والياً عليها فانه اخبرني ان اباه سعى في الحصول على فرمان الولاية لعل آغا
من غير ان يخبره بذلك) . لكن براءته وتبرئته نفسه لم تجد باه نفعاً . فقطعوا رأسه امام
سراي الحكومة في الصباح وتركوه مطروحاً الى آخر النهار ليراه الناس وكان عمره سبعين
سنة لكنه كان كابن خمسين . وكان يوماً عبوساً على اهالي دمشق من مسلمين ونصارى ويهود
لان علي آغا كان محبوباً مكرماً عند الجميع ولم يكن احد يظن ان تكون له هذه الخاتمة
من يد المصريين لانه كان محبباً لابراهيم باشا مخلصاً للولاء له

ثم ان الامراء بيت الحرفوش اصحاب بعلبك كانوا حكماء منذ قرون كثيرة فلما اخرجهم
ابراهيم باشا من حكمها رتب لهم رواتب لا تقوم بمعيشتهم فشقوا عصا الطاعة وكان الامير
جواد الحرفوش اعلام مقاماً واشدهم بأساً لكنه مل من الفرار امام رجال الحكومة فالتجأ الى
الامير بشير واستأمن اليه فامنه ووعده بالسعي له لدى الحكومة للعفو عنه وكتب
الى شريف باشا فاتاه الجواب بان يرسل الامير جواداً واتباعه الى دمشق . ولما وصل الى
دمشق قطع رأسه وطرحه امام باب السراي . فهذه الاعمال الملت الامير بشيراً واضعفت
ثقتهم بالمصريين وصار ينتظر زوال نعمته عن يدهم كما ازالوا نعمة غيره . (ويظهر من حوادث
كثيرة ذكرها الدكتور مشافه في عرض كلامه ان ابراهيم باشا كان اعدل من شريف باشا
وارأف منه جداً فكان يعفو عن القاتل والعاصي اذا طلبا العفو وذكرنا سبباً معقولاً للقتل
اول العvisين . مثال ذلك ان الامير بشيراً والامير خليلاً الشهابيين اخوي الامير سعد الدين

صاحب حاصبيا قتلا الامير بشيرا والامير عليا بديعه بعد رجوع ابراهيم باشا من حاصبيا وكان
قد استأمن اليه فامتنهما . فامر بتوقيف الامير سعد الدين عند الامير بشير في لبنان وفره
القائلان من وجه الحكومة واخفيا مدة . واتفق ان حسين الطرابلسي من متواله بلاد بشارة
وهو رجل مشهور بالشجاعة وله احد عشر ولدا وكلهم من الشباب الاشداء وكان يقطع
الطرق ويعتدي على ابناء السبيل بالسلب والنهب التقي بالامير خليل احد الاخوين القائلين
فاطلق عليه الرصاص واخطاه فهجم عليه الامير خليل برجاله وقبضوا عليه ونزعوا سلاحه
وشدوا وثاقه وسلموه لمحمد آغا سويدان حاكم حاصبيا وارسل الخبر الى ابراهيم باشا فقال
يا سيحان الله ان القتلة الهاربين من وجه الحكومة يسك احدهم الآخر ويسلم للحكومة . فقال
له احد الحضور ان المقبوض عليه كان يقتل طمعا بسلب الاموال واما القابض فقتل قاتل
اخيه اخذا بثاره وفره خوفا من سطوة الحكومة ولم يسلب راحة الرعية ولا اتعب الحكومة
ثم اظهر ولاءه لها في هذه الحادثة . فقال ابراهيم باشا لارب عندي في ولاء الامراء الشهابيين
ولكن اخذهم تأثرهم بيدهم لما يشين ولا سبنا لانهم خفروا ذمتي ومع ذلك فقد عفوت عنهم
لصدق خدمتهم وامر باطلاق الامير سعد الدين وتأمين اخويه وصرف معاشاتهم وشنق
حسين الطرابلسي فشنقوه في حاصبيا ثم ارجع حكومة حاصبيا وراشيا الى الامراء الشهابيين
ومن هذا القبيل ان شبلي العريان البطل المشهور الذي قاوم ابراهيم باشا اشد مقاومة في
حوران وحاصبيا واستأمن ثم خان عاد وطلب الامان وسلم سلاحه لابراهيم باشا والتي نفسه
بين يديه فعفا عنه واحضره معه الى دمشق ورد له سلاحه وعقد له على ثلاث مئة فارس
وتوفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وخلفه ابنه السلطان عبد المجيد وكثرت القلاقل في
بلاد الشام بسبب المغارم التي فرضتها الحكومة المصرية على الاهالي مع انها انصفتهم بعضهم مع
بعض ولم تكن تأخذ منهم غير ما فرضته عليهم وكانت تهتم بالمنافع العمومية فتدفع نفقاتها من
غير ان تكلفهم شيئا . مثال ذلك ان المياه القذرة كانت تنصب من بعض احياء دمشق وتجمع
في خندق خلف السور جهة باب شرقي ويفوح منها روائح كريهة على البيوت المجاورة واكثر
سكانها من النصارى واذا جفت في الصيف نزعها اصحاب البساتين ونقلوها الى بساتينهم
فتجمع اقدار غيرها ويمكن صرفها في نهر عقربا الذي لا يستعمل الا للري لانه يحمل اقدارا
كثيرة من دمشق ولكن لا يمكن جرّها اليه الا اذا مرّت في اراضي وقف المجذومين فالتس
اهالي المحلة من ابراهيم باشا ان يأذن لهم في صرف تلك الاقدار في نهر عقربا على نفقاتهم فكتب
الى شريف باشا لكي يبحث في طلبهم بمعرفة المهندسين ويرى مقدار النفقات اللازمة له ولولا

ثبت له ان الضرر حاصل وانه يمكن صرف الاقدار في نهر عقربا امر بعمل كل ما يلزم لذلك على
لنقات الحكومة قائلاً انه من المنافع العمومية التي يجب ان تتحمل الحكومة نفقاتها لانها مكلفة
بدفع الضرر عن الرعية

ومنها ان الجزائريين رفعوا سعر اللحم حتى صار ثمنه فاحشاً فامر ابراهيم باشا مجلس الشورى
ان يبتاع الغنم ويعين من يذبحه ويبيعه بثن معتدل ولما رأى ان الجزائريين لم يرفعوا امر ان
يتزك لم الربح الكافي وتؤخذ منهم الزيادة وتنفق في المصالح العمومية فارتدعوا
الآن ان ثقل الضرائب وانقطاع ارزاق ابناء العشائر ومساعي الاتراك والاوربيين حملت اهالي
سورية على شق عصا الطاعة فجاهروا بالعصيان وفازوا باخراج ابراهيم باشا من بلادهم كما سيجي

الشيخ محمد عبده

سيرته ومآثره

نشرت جريدة المنار ترجمة مسهبية للشيخ محمد عبده ووعدت بنشر كتاب مطوّل جمعت فيه
اثاره ومآثره وما كتب عنه . واجتمع كثيرون من تلامذته واصدقائه ومريديه في الاربعين
من وفاته وتلوا خطباً وقصائد في سيرته ومآثره في الجامع الازهر ومجلس الشورى ومحاكم
القضاء والبلاد الاسلامية عامة فكثرت لدينا المواد فوق ما نعرفه بالخبر من امر الفقيد
فاقتطفنا منها ما يأتي :

ولد سنة ١٢٦٦ للهجرة من ابوين متوسطي الحال ووالده من بلدة محلة نصر في مديرية
البحيرة وينتمي بيت والده الى بني عدي من العرب وقال انهم من ذرية عمر بن الخطاب . وقد
سمعا من الفقيد انه من العرب الذين هاجروا من بلاد المغرب الى القطر المصري وقال صاحب
المنار انه نشأ كما ينشأ امثاله من ابناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل المكتب لتعلم
القراءة والكتابة الا بعد ان جاوز العاشرة من سنه وقد كتب عن مبداء تعلمه وتأديبه ما نصه
” تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه
وحدي جميع القرآن اول مرة ثم اعدت القراءة حتى اتممت حفظه جميعه في مدة سنتين
ادركني في ثانيتهما صبيان من اهل القرية جاهدوا من مكتب آخر ليقرأوا القرآن عند هذا
الحافظ ظناً منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من اثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك حملني

والذي الى طنطا حيث كان اخي لامي الشيخ مجاهد رحمه الله لأجود القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

”ثم في سنة احدى وثمانين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الاجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفاً لا افهم شيئاً لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاجئونا باصطلاحات نحوية او فقهية لانفهمها ولا عناية لم بتفهم معانيها لمن لم يعرفها فادر كني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واخفيت عند اخوالي مدة ثلاثة اشهر ثم عثر عليّ اخي فاخذني الى المسجد الاحمدي واراد اكرهي على طلب العلم فأبيت وقلت له : قد أيقنت ان لانجاح لي في طلب العلم ولم يبق عليّ الا ان اعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من اقاربي : وانتهى الجدال بتغلي عليّ فاخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا اعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

”فهذا اول اثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي بعينها طريقته في الازهر وهو الاثر الذي يجده خمسة وتسعون في المئة ممن لايساعدهم القدر بصحة من لا يلتزمون هذا السبيل في التعليم — سبيل القاء المعلم ما يعرفه او ما لا يعرفه بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استعدادهم للفهم . غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم انفسهم فيظنون انهم فهموا شيئاً فيستمرون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال وهم في احلام الاطفال ثم يتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزية لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضلون من توجد عنده داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه

”بعد ان تزوجت باربعين يوماً جاءني والدي ضحوة نهار والزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتياج وتمنع واباء لم اجد مندوحة عن اطاعة الامر ووجدت فرساً أحضر فركبته واصحبني والدي باحد اقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعني الى محطة (ابتاي البارود) التي اركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتبة سافياء تحصب الوجه بشبه الرمضاء فلم استطع الاستمرار في السير فقلت لصاحبي اما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ولا بد من التعرّيج على قرية انتظر فيها ان يخف الحر فاني عليّ ذلك فركبته واجريت الفرس هارباً من مشادته وقلت اني ذاهب الى (كنيسة ادرين) — بلدة غالب سكانها من خوالة ابي — وقد فرح بي

شبان القرية لانني كنت معروفاً بالفروسية واللعب بالسلاح واملوا أن أقیم معهم مدة بلوفيهما كل منا بصاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وارادني على السفر فقلت له خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوماً تحولت فيها حالتي "وبدلت فيها رغبة غير رغبتني"

"ذلك ان أحد احوال أبي واسمه الشيخ درويش سبقت له اسفار الى صحراء ليبيا ووصل في اسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ خاظر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئاً من العلم واخذ عنه الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويحيد حفظ القرآن وفهمه ثم رجع من اسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فح الارض وكسب الرزق بالزراعة

"وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها في الكنيسة ويده كتاب يحوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديه بالاطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان اقرأ له فيها شيئاً لضعف بصري فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منه اشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميته الى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في الطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى اخذت الكتاب وقرأت منه بضعة اسطر فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعبارة واضحة تغالب اعراضي فتغلبه وتسبق الى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرف اليهم . بعد العصر جاءني الشيخ بكتابه والح علي في قراءة شيء منه فقرأت وفسر ثم تركته الى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الاول . اما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ له فيه وهو يشرح لي معاني ما اقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها فقال لي انه في حاجة الى الذهاب الى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منه ابقاء الكتاب معي فتركه ومضيت اقرأه وكما مررت بعبارة لم افهمها وضعت عليها علامة لا سأله عنها الى ان جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب وهوى ينازعني الى البطالة . وعصر ذلك اليوم سألتها عما لم افهمه فابان معناه علي عاداته وظهر عليه الفرح بما تجد عندني من الرغبة في المطالعة والميل الى الفهم

"كانت هذه الرسائل تحوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من

مظاهر هذه الحياة الدنيا

”لم يأت عليّ اليوم الخامس إلا وقد صار ابغض شيء إليّ ما كنت أحبه من لعب ولهو ونخفخة وزهو . وعاد أحب شيء إليّ ما كنت ابغضه من مطالعة وفهم وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعونني إلى ما كنت أحب ويهدونني في عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لا أحتمل أن أرى واحداً منهم بل أفر من لقاءهم جميعاً كما يفر السليم من الأجر. في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتيكم فقال طريقتنا الاسلام فقلت او ليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الامر ولما سمعتمهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب . هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرق جميع ما كان عندي من المتاع القديم — متاع تلك الدعاوي الباطلة والمزاعم الفاسدة متاع الغرور باننا مسلمون ناجون وان كنا في غمرة ساهين . سألته ما وردكم الذي يتلى في الخلوات او عقب الصلوات . فقال لا ورد لنا سوى القرآن نقراً بعد كل صلاة اربعة ارباع مع الفهم والتدبر : قلت اني لي ان افهم القرآن ولم اتعلم شيئاً قال اقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وبركتها فيفيض الله عليك التفصيل واذا خلوت فاذكر الله : على طريقة بينهما . واخذت اعمل على ما قال من اليوم الثامن فلم تمض عليّ بضعة ايام إلا وقد رأيتني اطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت اعهد واتسع لي ما كان ضيقاً وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً . وعظم عندي من امر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيراً . وتفرقت عني جميع الهوم ولم يبق لي الا هم واحد وهو ان اكون كامل المعرفة كامل ادب النفس ولم اجد إماماً يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذي اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد . هذا هو الاثر الذي وجدته في نفسي من محبة احد افاربي وهو الشيخ درويش خضر من اهالي (كنيسة ادرين) من مديرية البحيرة . وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة في هذه الحياة وهو الذي ردّ لي ما كان غاب من غريزتي وكشف لي ما كان خفي عني مما اودع في فطرتي

”وفي اليوم الخامس عشر مرّ بي احد سكان بلدتنا (محلة نصر) فاخبرني ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في الكنيسة فاصبحت مبكراً الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لانني لو كنت اقتت الف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبه ومطلبي لما اقتنع

”ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الآخرة من

سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنته فعاقبه الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض له عارض منعه عن اتمام شرح الشيخ خالد على الاجرومية فادركت كلا منهما في اوائل الكتاب الذي كان يدرسه وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افيهم ما اقرأ وما اسمع والحمد لله . وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لا طالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاه . وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت اطالع بين الطلبة واقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت امامي شخصاً يشبه ان يكون من اولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت راسي اليه قال لي ما معناه : ما احلى حلوى مصر البيضاء : فقلت له واين الحلوى التي معك ؟ فقال سبحان الله من جد وجد : ثم انصرف فعددت ذلك القول منه الهاماً ساقه الله الي ليحلماني على طلب العلم في مصر دون طنطا

” وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصاً كلمة لغير ضرورة . وفي اواخر كل سنة دراسية كنت اذهب الى (محلة نصر) لاقيم فيها شهرين من منتصف شعبان الى منتصف شوال . وكنت عند وصولي الى البلد اجد خال والدي الشيخ درويشاً قد سبقني اليه فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فاذا ذكر له ما درست فيقول : ما درست المنطق ما درست الحساب ما درست شيئاً من مبادئ الهندسة : وهكذا وكنت اقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لا يجز عن تحصيله في اي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة اتبس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت اخطئ في الطلب واخرى اصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر او اخر سنة ١٢٨٦

” وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة (الفلسفية) والكلامية وادعو الناس الى التلقي عنه كذلك واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل ويزعمون ان تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خبري الدنيا والاخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وان اعدى اعداء العليم هو الجاهل واعدى اعداء الحكيم هو السفیه وما تقرب احد الى الله بافضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بمقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه الا ما يسميه بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بعلم كالسحر

والشعوذة ونحوها اذا قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس: ”

هذا ما كتبه الفقيه عن مبدئ تربيته وتعلمه في ترجمته التي كتبها لي قبل اشتداد مرضه الاخير وكان قد حدثني قبل بشي من ذلك ومنه انه لم يكن يواظب على حضور دروس من لا يفهم او لا يستفيد منهم وانه ربما كان يحضر درس احدهم وفي يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس وان من شيوخه الذين فهم منهم واستفاد في اول تحصيله الشيخ محمد البسيوني وانه بعد الحضور في الازهر ثلاث سنين ملّ الدروس المعتادة كانه اخذ حظه منها وصارت نفسه تطلب شيئاً جديداً وتميل الى العلوم العقلية ولكنه حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى اعاده شيء منها . وكان الشيخ حسن الطويل ممتازاً في الازهر بعلم المنطق فحضره عليه ولم يكن يشفي ما في نفسه بل كانت تشوق دائماً الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الازهرية عن طلبته فيظفر ببعض الشيء وما ظفر به القطب على الشمسية ناقصاً . وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئاً من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بان المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات او اشبه بالحزر فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكرت اليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها واقصى امنيتها . واخبرني رحمه الله تعالى ان الذي اخبرني بقدم السيد جمال الدين هو واحد المجاورين في رواق الشوام قال له انه جاء مصر عالم افغانى عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فسر بذلك واخبر الشيخ حسناً ودعاه الى زيارته معه فالقياه يتعشى فدعاهما الى الاكل معه فاعنذر فطفق يسألها عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب الفقيه به عجباً وشغفه حباً

وقال حسن باشا عاصم في ترجمته التي تلاها يوم تذكّر الاربعين ان الفقيه عرض نفسه في سنة ١٢٩٤ هـ على مجلس الامتحان طالباً شهادة العالمية من الازهر فنال الشهادة رغماً عن تشديد اكثر المشايخ عليه لحضوره على السيد جمال الدين فهذا دور التعلم والتربية واما دور العمل والاصلاح فقد بدأ به في اثناء الطلب . كان يقرأ دروساً في التوحيد والمنطق وغير ذلك يحضرها الجم الغفير من الازهريين فيرون كتباً جديدة من كتب سلفهم واسلوباً جديداً يتدفق فصاحة وبلاغة وفتح لهم باب المذاكرة والبحث فكانوا يسهرون لذلك حتى مطلع الفجر وبعد ان صار مدرساً رسمياً زادت عنايته بذلك وكاد الازهر لذلك العهد ينهض نهضة تحيي العلم والدين ولكن حال دون ذلك اضطهاد المرحوم الشيخ عيش للفقيه لوشاية مكنتها من نفسه حضور الفقيه على السيد جمال الدين

وكان غرض السيد جمال الدين الاصلاح الاسلامي بواسطة الحكومة لانه اسرع فائدة وابتع ثمة لو تم . وقد مهد له السيد بتلاميذه ومريديه حتى كاد ينجح بعد عزل الخديو اسماعيل وتولية الخديو توفيق الذي كان متصلاً به قبل ذلك . وكان هو المأمول لتنفيذ الاصلاح ولكن ما كاد يستقر على كرسي الخديوية حتى اوغر الوشاة صدره على السيد وعلى تلميذه الاول ويمينه في العمل ففني السيد الى خارج القطر وذهب الشيخ الى بلده (محله نصر) وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦ هـ

كان الفقيه قبل ذلك عين معلماً للتاريخ في مدرسة دار العلوم ولغة العربية في مدرسة الاسن فخرى في التدريس على طريقة جديدة كانت مبدأ الاصلاح والنجاح . وكان يقرأ في مدرسة دار العلوم مقدمة ابن خلدون ولم تقرأ قبله درساً في مصر وكان يسلك في تدريسها مسلك الاستاذ المجتهد في علم الاجتماع والعمران ولو طال الزمان على درسه هذا لرى رجالاً واحياء آمالاً

وفي سنة ١٢٩٧ هـ عينه صاحب الدولة رياض باشا محرراً في الجريدة الرسمية ثم جعله رئيس التحرير فيها ورغب اليه في سن قانون للمطبوعات ففعل . وكان من احكام ذلك القانون انه يجب على جميع مصالح الحكومة ان تخبر قلم المطبوعات باعمالها واحكامها ومشروعاتها وان لرئيس التحرير حق الانتقاد على ما يراه منتقداً منها كما انه له حق المراقبة على الجرائد التي تنشر في البلاد المصرية ومعاقبتها حتى بالتعطيل الدائم . ومن احكامه ان ينشئ رئيس التحرير في الجريدة الرسمية قسماً ادبياً تنشر فيه المقالات في التربية والآداب والتدبير وغير ذلك من الامور النافعة في الاخلاق والعادات

بهذا القانون صار الفقيه كالمسيطر على عمال الحكومة والمربي للامة وقد قام بالامرين حق القيام فكانت الجريدة الرسمية تنتقد ما تكتبه مصالح الحكومة حتى اضطر رؤساء الكتاب الى تلقي دروس في العربية وانشئت لذلك مدارس ليلية تبرع الفقيه بالقاء دروس في بعضها وانتقد الاعمال حتى كان ذلك عوناً على اصلاحها لما يتوقاه العمال من الانتقاد والتشهير بل من المواجهة بعد ذلك اذ المنتقد انما ينتقد بلسان الحكومة — بل كان من القانون ان لرئيس التحرير الحق في مطالبة الحكومة بالتحقيق عما نقوله الجرائد المحلية في عمال الحكومة فان ظهر صدق ظعن في احد فعلى الحكومة ان تؤاخذ به . وكان يؤاخذ الجرائد بفساد عباراتها حتى انه انذر بعض الجرائد بالتعطيل اذا لم تأت بمجرر بارع يصحح عبارتها بعد ايام حدها ففعلت فكان وجوده في المطبوعات مبدأ النهضة القلمية في القطر المصري بعد ان اعده السيد جمال

الدين وافراد آخرين لذلك . وقد كان من اثر انتقاده على الحكومة انشاء مجلس اعلى لنظارة المعارف هو احد اعضائه والغرض منه ترقية التربية والتعليم في البلاد بعد ذلك جاءت الثورة فوافقت سير هذا الاصلاح في اللغة والاعمال والآداب كما اوقفت غيره مما كانت الحكومة شرعت فيه بهمة رياض باشا لذلك كان الفقيه شديد الانتقاد على العرايين قولاً وكتابة ولكن الوشاية اتهمته بحكم عليه بالنفي ثلاث سنين

اذا اراد الله بعبد خيراً اهله للاستفادة من كل شيء ونقد كانت تربية الفقيه تحتاج في كمالها الى السياحة في الارض واختبار الامم فتم له ذلك بهذا النفي ذهب الى سورية واقام فيها نحو سنة ثم سافر الى اوربا واقام نحو عشرة اشهر التقى فيها باستاذهم وصديقه السيد جمال الدين على موعد واصدرا جريدة العروة الوثقى التي كان لها اعظم تأثير في العالم الاسلامي ولكن لم يطل عليها العهد اذ منع دخولها في مصر والهند وهما القطران المقصودان بها اولاً وبالذات ثم عاد الى سورية ماراً بتونس فاقام فيها عدة سنين كان في بيروت يدرس العقائد الاسلامية في المدرسة السلطانية ويقرأ درساً في التفسير في الجامع الكبير ودرساً آخر في جامع آخر وكانت داره ملتقى العلماء والفضلاء من جميع الطوائف وكان يكتب في الجرائد بعض المقالات النافعة والنصائح الدينية وقد اختبر حال المسلمين وغيرهم من الطوائف اتم الاخبار

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى مصر وتسابق العظماء الى الشفاعة فيه لدى الخديوي السابق فعفا عنه وامر بان يعين قاضياً في المحاكم الاهلية فلما علم بذلك استاء وسعى في ان يكون معلماً في دار العلوم قائلاً اني خلقت لان اكون معلماً لا قاضياً فلم يقبل الخديوي الا ان يكون قاضياً فرضي رحمه الله بالقضاء وارفق الى اعلى مرتبة فيه وكان فيه قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم فقد كان لا يحكم بنص القانون اذا لم ينطبق معه على العدل والانصاف بل يعمد الى الصلح وكان يتوخى التربية في احكامه حتى طهر بعض البلاد التي تولى القضاء فيها من دنس التزوير

منذ اكثر من ثلاثين سنة فكر بعض عقلاء هذه الامة في طريقة لارتقاء علماء الدين الى درجة ينفعون بها العالم الاسلامي كما نفعه سلفهم فكان رأي البعض ان لا سبيل الى ذلك الا بايجاد مدرسة تدرس فيها علوم الدين والعلوم الاخرى وكان من وراء ذلك انشاء مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٠ هـ والبعض الاخر كان يرى ان اقرب الطرق للوصول الى هذا

الغرض هو اصلاح الازهر. وكان الفقيد على هذا الرأي ولذلك ما كان يجد فرصة الاّ انتهزها لتحقيق امانيه حتى انه لما اتصل بسمو الجنب الخديوي عباس الثاني في اول ولايته ونال الخطوة عنده تعين عضواً في مجلس ادارة الازهر وتمكن من العمل في اصلاح التعليم والتربية الدينية فيه لا اعتقاده انه اصلاح اسلامي عام بنشر نوره في جميع بلاد الاسلام. وفي سنة ١٣١٧ قلده سمو الجنب الخديوي منصب افتاء الديار المصرية فكان به لهذا المنصب الشأن العظيم حتى كاد يكون مرجع الافتاء في العالم الاسلامي

وكان من مقتضى منصب الافتاء ان كان رحمه الله عضواً في مجلس الاوقاف الاعلى فكان نبراساً للمجلس يستضي برأيه في تطبيق اعماله على احكام الشرع الشريف وفي حل المشكلات. ومن اقتراحاته المفيدة ان تشكلت لجنة تحت رئاسته وضعت نظاماً للمساجد لو عمل به كما هو لعمرت بيوت الله وبيوت خدمتها ولكانت عوناً على احياء علوم الدين

عقب تقلده منصب الافتاء عين عضواً في مجلس شورى القوانين فكان للمجلس على عهده من الخدمة النافعة والاحترام ما لم يكن له من قبل فقد كان عامل التوفيق بين المجلس والحكومة وكان اهم غرض له من الشعب الشديد في المجلس تعويد الامة دقة البحث في امورها وتربية الراي العام فيها. ولا ننس من خدمته للعلوم الاسلامية رئاسته لجمعية احياء العلوم العربية فقد أسست هذه الجمعية في سنة ١٣١٨ لاهياء كتب سلف هذه الامة وافاضل علمائها وكانت فاتحة اعمالها طبع كتاب المخصص لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير له في موضوعه. وقد تولى تصحيحه مع علامة اللغة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي وان الفضل في خدمة الشنقيطي لهذا الكتاب راجع الى فقيدنا فانه لولاه لما اقام في هذه البلاد. وقد شرعت الجمعية بعد طبع المخصص في احياء مدون الامام مالك رضي الله عنه. وللفقيد من الخدمة في استحضار نسخها من تونس وفاس وغيرها من البلاد ما لولاه لم يكمل لنا استنساخ الكتاب كله وكان يعتقد انه لا يرجي خير لامة الاّ اذا دبت في افرادها روح الاعتماد على النفس بعد التوكل على مسبب الاسباب وعلى التعاون على خدمة العامة الأمر الذي لا يتأتى الاّ بالتربية والتعليم. ولما كان يرى نفسه مخلوقة لتربية الامة وتعليمها فقد كان من المؤسسين للجمعية الخيرية الاسلامية في سنة ١٣١٠ هجرية وله من العمل فيها ما يجعله في مقدمة اعضائها. فانه كان يحض الامراء والعظماء والسراة على الاشتراك فيها ويحصل قيم الاشتراكات بنفسه اذا اقتضت الحال ذلك ويعمل كل ما في جهده لارتقاها واتساع نطاقها. وكان يرى ان الفائدة الكبرى من هذه الجمعية هي تعويد المسلمين الاجتماع لاجل التعاون وشعار قلوب الاغنياء

عاطفة الرحمة والاحسان على الفقراء كما كان يصرح بذلك في الاحتفال السنوي من كل عام
وافاض حضرة القاضي الفاضل الشيخ احمد ابي خطوة في وصف ما عمله الفقيد للازهر
فمقتطف منه ما يأتي قال

”كان شغله الشاغل لا وفاته الازهر واهله لعل ان في صلاحه صلاح المسلمين ولقد
نقل عنه وهو بالشام انه لا يرتاح ولا يهدأ خاطره الا اذا صلح هذا المكان . وانه لا بد ان
يمجد نفسه ويعمل فكره ويعمل في صلاحه وانه ان مات في هذا السبيل مات قريبا العين .
ولهذا كان دأبه السعي في مصلحته وهو غير مكلف به الا من نفسه . فلما ان كلف به من
الحكومة المصرية في ١٧ رجب سنة ١٣١٢ و صدر الامر العالي بتعيينه عضوا في مجلس ادارة
الازهر رأى انه سيصل الى ضالته المنشودة واخذ في كل ما يرقيه من كل جهاته . ووافقه
وساعده على ذلك بعض كبراء مشايخ الازهر واعضاء مجلس ادارته خصوصا عضده وصديقه
الشيخ عبد الكريم سلمان

ابتدا بالبحث عن اهل الازهر وسيرهم واخلاقيهم ومعيشتهم ومساكنهم والعلوم المتداولة
بينهم وطرق العلم والتعليم . فعلم انهم يستوجبون العناية والالتفات خصوصا في امر معيشتهم
لان اكثرهم من الفقراء الضعفاء . وليس لهم الا قليل من خبز الجرايات يقدر بنحو خمسة
آلاف رغيف في اليوم وقليل من مرتبات النقود لا تزيد عن ٣١٠ جنيها مرتبات شهرية
و ٦٣٧ جنيها مرتبات سنوية وهي المعروفة بدل الكساوي وان مساكنهم عتيقة ضيقة . فرأى ان
من اول الواجبات ان يتقدم الاصلاح المعنوي اصلاح الماديات فاجتهد مع من يدهم الامر في
الحكومة حتى زيد في المرتبات الشهرية المرتبة من المائتين الف جنية في السنة ووعده بالمزيد
الى عشرة آلاف جنية متى ظهرت فائدة الاصلاح . ثم استمر فيوضات الجناح العالي الخديو
فافاض ما اوجب على الازهرين شكر اياديه واصدر امره الى ديوان الاوقاف بترتيب ثلاثة
آلاف جنية وثلاثمائة واربعة وسبعين جنيها في السنة وزيد في خبز الجرايات مبالغ وافرة وعم
هذا الخبز الجهات المختصة بالازهر كالجامع الاحمدي والدسوقي وعلماء دمياط والاسكندرية
حتى بلغ الآن مجموع مرتبات الازهر ولحقاته نحو اربعة عشر الف جنية وسبعمائة وخمسين
جنيها بعد ان كان فوق الاربعة الاف بقليل وذلك غير ما زيد لبعض اشخاص منهم وغير
ما زيد في رواتب الخدم والموظفين وقد بلغت الجرايات العمومية والخصوصية في اليوم بمخصوص
الازهر نحو ١٥٠٠٠ رغيف بعد ان كانت ٥٠٠٠ رغيف كما قدمناه وذلك غير ما رتب
من الجرايات للملحقات المذكورة . واما ما يتعلق بالمساكن فانه قد عرض امرها على الجناح

الخدوي فصدر امره بشراء الاماكن المجاورة للازهر من جهته الغربية ليحمل مكانها اماكن
لكنى المجاورين واستتبع هذا هدم كثير من الاروقة المعدة لسكنهم وتجديدها فكل هذا وذاك
على احسن مثال مراعى فيه النظمات الصحية . ثم توجهت الفكرة الى نظافة الازهر بتمامه فبعد
ان كان يفرش في السنة مرة واحدة صار يفرش في العام مرتين وبعد ان كان يضاف بالزيت القليل
الضوء حسب العادة اُمسى يضاف بمصابيح الغاز التي تكنى القاري والكاتب فسهل على الطلبة الاشتغال
ليلاً . وبعد ان كانت المياه المستعملة فيه معينة مألحة راكدة قدرة لا توجد الا بمزيد التعب
والشقة ادخلت فيه حنفيات شركة المياه فاصبح ماؤه يتجدد كل يوم نقياً صالحاً للاستعمال
كان امر الصحة في الازهر مهمل بالمرء وكانت الامراض المعدية منتشرة فيه فعين له
طبيب يعرض عليه كل من يريد الالتحاق بالازهر من الطلاب ويعالج المرضى ويراقب
تنفيذ الامور الصحية وانشت له اجزاخانة بالرواق العباسي ومحل لعيادة المرضى وصرفت لهم
الادوية مجاناً فاصبح ولاهله عناية تامة بالصحة من انفسهم . ولما كان هذا المحل المعد لعيادة
المرضى لا يسعهم اشتغل رحمه الله في ديوان الاوقاف حتى تقرر انشاء مستشفى فسيح بجوار
الازهر في شارع الشنوائي اُعد لاقامة المرضى ومعالجتهم فيه خصوصاً في زمن الامراض
الوبائية دفعا لحدوث مثل حادثة رواق الشوام المشهورة وسيفتح قريباً ان شاء الله . وناهيك
بامر صيانة نظام الضبط والربط في الازهر فقد زيد عدد خدمته وملاحظيه بنسبة عدد
المجاورين فيه فامتنع بذلك حدوث كثير من الوقائع والمشاجرات
كانت مشيخة الازهر تدار اعمالها بمنزل من يكون شيخاً له يحمل اهله مشقة الذهاب
والاياب على اختلاف ابعاد المسافات بين الازهر وبين بيوت مشايخه . وكان له كاتب واحد
يجلس في الازهر حيث شاء . وكانت سلطنته عامة طامة . فكان من عمل المرحوم وسعيه
ان انشئ في المباني الجديدة مكان للمشيخة والادارة . وتبينت كثرة الاعمال وان كاتباً
واحداً لا يكفيها . فزيد في عدد الكتبة خمسة ووظف لمجلس الادارة العدد الكافي من
الخدم حتى صارت الادارة ديواناً كبيراً واستراح العلماء والطلبة من قطع المسافات وتضييع
الاوقات في الذهاب الى بيوت المشايخ ونجرت الاعمال في اوقاتها
كانت المرتبات في الازهر مبعثرة مشتتة لا ضابط لها سنوية كانت او شهرية . كانت
تنح لاناس دون اخرين فكان لبعضهم نحو الستة عشر قرشاً في الشهر وللكثير منهم الحرمان
ولبعضهم ما فوق الستمائة قرش . وكان لاولاد العلماء بعض هذه المرتبات يعطونها بلا شرط
ولا قيد حسبا يراه شيخ الجامع وحده فجاء نظام المرتبات الذي اشتغل به الشيخ المرحوم

اول الامر ودفع كل هذه الاستثنائات فجعل العلماء درجات علم كل منهم درجته ومقدار مرتبه فكان يأتيهم بدون كد ولا رجاء وكذلك صار الحال في المراتب السنوية التي هي بدل الكسايي فكان لكل نوع من هذين النوعين ضوابط استوفى بها كل واحد مرتب درجته وانتفع به بلا حاجة الى الرجاء والاستجداء . واما اولاد العلماء فقد جعل لهم في استيلائهم على المراتب المنحلة عن آباءهم شروطاً وقيوداً الغرض منها استدامة اشتغالهم بطلب العلم ليخلفوا آباءهم فيه وبسبب هذا النظام استقال كثير منهم من طلب العلم لما عرفوه في انفسهم من الضعف عنه فخرجوا من المرتب بمقتضى هذا القانون . ولكن الشيخ رحمه الله رثى لفقرهم وجمع لهم من اهل البر والخير صدقة واسعة هاهي مودعة في خزانة الازهر ليصرف عليهم منها كل شهر مقدار ما كانوا يأخذون من الازهر تقريباً وربما زاد

اما نظام الجرايات فكان من المهمية بكان لا يتصور ما هو عليه ولا كيف رضي به اهله فلم تكن الا منبع ثروة للتقياء ومشايخ الاروقه والحارات وسبباً للتخاصم والتحاسد بين اهليه ولذلك رأى الشيخ رحمه الله ان يجعل لها نظام عام واشتغلت بذلك مشيخة الازهر ومجلس ادارته وانتهى الامر بتشكيل لجنة للنظر فيها ووضع نظام يع جميع الاروقه والحارات على اختلاف مقادير الجرايات فيها وجهات ورودها مراعى فيه شروط الواقفين ان كان لها شروط معينة والآف يرجع الى قواعد الشرع الشريف . فشككت تحت رئاسة الاستاذ الشيخ الرافعي وكذلك وضع لكسايي التشریف نظام حتى لا تكون في اعطائها والحرمان منها موكولة الى رأي واحد وحتى لا يدخل فيها من ليس من اهل العلم كما كان جارياً من قبل فصار استحقاق الكسوة العلمية مشروطاً بشروط مقيداً بقيود الغرض منها ان لا تمنح الكسوة الا لمن وضع تعهده في التعليم مع مراعاة الاقدمية عند التساوي وبذلك انتقل الحال فيها ايضاً من المهمية الى النظام هذا ما وجه اليه المرحوم فكرته من اصلاح الماديات الذي جعله مقدمة لاصلاح المعنويات وبعد الفراغ منه وجه فكرته الى وضع نظام للتدريس والامتحان فكان كذلك واشتغلت مشيخة الازهر ومجلس الادارة بوضع قانون عام لذلك بينت فيه مقاصد العلوم ووسائلها وما يجب لعلوم المقاصد من العناية وتوسيع الزمن وبينت علوم المقاصد بانها هي التوحيد والتفسير والحديث والفقه واصوله والاخلاق الدينية وبينت الوسائل بانها هي المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة وعلم مصطلح الحديث وضم اليها الحساب والجبر وتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وادابها ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان والزمن طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية بادائه في المقاصد وبعض الوسائل والحساب والجبر ثم حتم

القانون على معلمي العلوم الآلية خصوصاً علوم البلاغة ان يدربوا الطلبة على تطبيق العلم على العمل وان يتجنبوا في السنين الاربع الاول قراءة الحواشي والتقارير صيانة للوقت من الضياع وغير ذلك من الاحكام الكثيرة التي ترجع كلها الى تحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن معلوم بطريقة سهلة التناول والتحلي بمحاسن الاخلاق الشرعية والاقتدار على الانتفاع بما حصاه من العلوم. وبهذا تحول الازهر من فوضي التدريس الى نوع من النظام. ولقد كانت العادة ان لا يتجاوز عدد المتحدين من طالبي الامتحان الكثيرين عن ستة اشخاص في السنة وقد يكونون في الغالب ثلاثة اشخاص لا غير فوصل عدد المتحدين بعد وضع هذا النظام وتنفيذه الى خمسة وتسعين في السنة ربما نجح منهم ما فوق الثلث وبذلك سار الامتحان في طريق التقدم وتجددت عزائم الطلبة وتكاملت رغباتهم في التحصيل. وكانت المدة التي يشتغل فيها الطالب في السنة قبل وضع هذا النظام في الازهر لا تزيد عن اربعة اشهر مقطعة في السنة كلها فصارت الآن بعد تحديد ايام العطلة بمقتضى هذا النظام تزيد عن الثانية اشهر هذا ما يتعلق باصول العلم والتعليم وقد اشتغل رحمه الله بافكار تكميلية لهذا النظام كان يعرض كل ما سنع له منها على مشيخة الازهر ومجلس الادارة فاشتغلوا جميعاً بوضع قرارات تكميلية لهذا النظام صارت قواعد اساسية الى اليوم. منها ما يرجع الى كيفية تعليم المعلم. ومنها ما يبين الواجب على المشايخ في اثناء التعليم وان يكونوا قدوة للطلاب في مكارم الاخلاق. ومنها ما يتعلق بسير الطالب وادابه مع الاستاذ واخوانه من الطلبة المتعلمين معه. ومنها ما يتعلق بتبيين الطريقة المثلى في تعليم العلوم الآلية حتى يتوصل بها الى المقاصد وتستثمر بها الحكم التي فصدها الشرع الشريف من الاحكام. واستعان مجلس الادارة بما زيد في تقود المرتبات على هذه الامنية خصوصاً فيما يتعلق بالعلوم الحديثة فانه خصص منها ستائة جنيه لمعلمي تاريخ الاسلام والحساب وتقويم البلدان وانتخب لتعليمها في الازهر معلمين كانوا قد تخرجوا في الازهر وانتقلوا الى مدرسة دار العلوم حتى لا يكون معلومها اجانب عن هذا المكان. وخصص كذلك ثلاثمائة وستين جنياً لتعليم الخط فاصبح هذا الفن مع سابقه منتشرًا في الازهر بين كل الطلبة واستفاد اهله من ذلك فائدة عظيمة فاصبحوا في هذه العلوم على حال لم تكن لتنتظر منهم. فانه يوجد فيه الآن خمسة عشر عالماً يدرسون الحساب على احسن ما يكون في تدريس المدارس بالمدارس الاميرية وثلاثة يدرسون علم تقويم البلدان وواحد يدرس علم الاملاء والكثير من الطلبة قد ادى الامتحان في الحساب والجبر العالي وتحصل على الشهادة باكمال دروسهما ومن بينهم عدد كبير تقدموا في امتحان الاساتذة بالمدارس الاميرية ومدارس الاوقاف والمدارس

الاهلية وحازوا قصب السبق فيه على التخرجين من تلك المدارس واحرزوا وظائف الاستاذية فيها باستحقاق وهذه احدى النتائج الحسان التي ربما كانت لا يحلم بها ولا يتخطر على البال ولما لفظ اللاغظون في ان هذه العلوم الحديثة ربما حالت بين الطالب وبين العلوم القديمة المتداولة في الازهر رأى المرحوم ان يعمل احصاء عن الطلبة الذين يتقدمون لامتحانات المكافآت في كل عام يقصد فيه تبيان حال من اشتغل بهذه العلوم الحديثة مع العلوم القديمة ومن لم يشتغل بهذه العلوم الحديثة واقتصر على العلوم القديمة فكان كذلك ووضع رحمه الله طريقة لهذا الاحصاء. فظهر من بعد البحث الدقيق والتحري السديد الشديد ان نسبة الناجحين في العلوم القديمة المتداولة المقتصرين عليها اقل بكثير من الناجحين فيها من المشتغلين بالعلوم الحديثة معها. وتلي ذلك في مجمع من العلماء يوم توزيع المكافآت على الناجحين بحضور شيخ الجامع واكابر العلماء وظهر من ذلك ظهوراً جلياً ان العلوم الحديثة العقلية تثقف الطالب وتقويه في فهم العلوم الشرعية وغيرها من العلوم المتداولة في الازهر

وقد رأى المرحوم ان الوسيلة في تدريس كل العلوم وتلقيها هي الكتب فلذلك وجه شتمه الى جمع ما تشتمت من كتب الازهر وجعله في مكان واحد (وكلامه عن جمع الكتب وانشاء مكتبة الازهر لا يخرج عما نشر عن هذه المكتبة في الجزء الماضي من المقتطف. ثم استطرد الى عنايته بالعربية وبآداب الازهرين وما قاله في هذا الصدد)

” انه كان يجب للازهر ان يبلغ الغاية القصوى من الكمالات العلمية والاخلاق الدينية خصوصاً في هذا الزمن الذي انتشرت فيه الافكار والمدنية الغربية معلماً ان الشريعة الاسلامية تنطبق على كثير من العلوم والمعارف والصنائع العصرية وان جوهر الشريعة يطلب من المسلمين المؤمنين الكمالات من كل وجه وانه يجب على المسلم ان يكون متجلباً بالفضائل متجنباً عن الرذائل. وكان شديد الحرص على ذلك في كل مجالسه ومحادثاته سواء كان مع الازهرين او مع اي طبقة من طبقات الناس “ الى ان قال :

” وبالجملة فان مقاصده بالازهر وبالازهرين كانت خيراً محضاً لا يشوبها شائبة وكانت كلها لوجهه تعالى وابتغاء ان يترقى اهل هذا المكان المنيف الى ما يحبه لهم من كمال الاخلاق وعلو المكانة بين الناس. والحمد لله لم يجعل الله تعابه سدى بل قد اثمرت وهو حي وانبت نباتاً حسناً فنجب من شبان الازهر ومن علمائه من يقدرون العلم حق قدره ويعملون بعمل الاستاذ وفكره وسيكونون ان شاء الله في المستقبل قدوة حسنة لغيرهم ويصل ثواب ذلك ان شاء الله الى من بذر هذا البذر الحسن وتعهده بالتربية والتغذية “

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما يهم أهل البيت معرفته من تربية الأولاد وتدبير الطعام واللباس والدراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مؤلفة ومؤلف غريب

ظهر حديثاً كتاب من قلم كاتبة انكليزية بامضاء "آيم" اي فتاة جاوزت سن الزواج ولم تتزوج وعنوانه "حقيقة الرجل". وقد تضمن كثيراً من القدح والهزء بالرجال والمبالغة في وصف عيوبهم ومساوئهم ولكنه لم يحل مع ذلك من الحقائق الراهنة. وقد استشهدت فيه على صدق دعاويها بحقائق اوردتها من تاريخها الخاص. فقالت انه أحبها ثلاثة اميركيين وفرنسويان والماني وارلندي وسويسري وثلاثة اسكتلنديين واثنان او ثلاثة من المستعمرات ولكنها آبت ان تتزوج احداً منهم وأهدت كتابها "الى الرجل الساكن في القمر لعله لا يجزيها عن المعروف بالانكار ولا يقابل الاحسان بالاساءة" وفي اعتقادها ان رجل الارض كثير الصلف والخيلاء قليل الشعور فاقد الرقة والانعطاف وكلاً مرّ يوم اصيحت المرأة اكثر غنى عنه. الى ان قالت "أعطى المرأة شيئاً تعيش منه وتلثي به وأجر عليها رزقاً معلوماً واختار لها نقرأ من الاصدقاء الكرام تسلي بعشرتهم وانظر حينئذ ان كانت لا ترضى بالعيش وتقع بالحياة بلا زوج. وقد اخذت المرأة تتعلم بالمشاهدة والاخبار انه يمكنها ان تعيش ناعمة مسرورة بلا محبة الرجل لها مثلاً تعيش بمحبته لها. ولو كانت كثيرة الحذر من الزواج مثله لما عقد في الارض عقد زيجة"

واشد ما كانت وطأتها على الرجل محباً وزوجاً وبشرته بمستقبل قائم وسقوط لا يقال له عشرة بعد ما تظلل المرأة الحاضرة مرتقية في سلم القوة البدنية حتى يأتي يوم تقذف فيه بالرجل الى مركزه الحقيقي فيعلم جلية امره. ثم شبهت المرأة بالكلب والرجل بالهر في اوصافها فقالت

"ان للمرأة معظم اوصاف الكلب وللرجل معظم اوصاف الهر. فان الكلب يطيع صاحبه طاعة عمياء ويخضع لامره بلا تردد ولا اجحام ويلبس اليد الذي تضربه. واما الهر فحيوان

ذكي أنوف لا يُكره على عمل ما لا يحب بل يصرُّ على عمل ما يحبه هو وما لا يحبه صاحبه وكثيراً ما يخذش اليد التي تلاعبه . فالرجل مثل الهرّ ينكر كل معروف وجميل ولا يقيم إلا حيث تطيب له الإقامة . ومما يؤيد حجتي ولعننا نحن النساء بالهرر والأفما يحملنا على الولوج بها لو لم تكن تمثل الرجال

النظافة والصحة

نظافة الجلد . أهم وظائف الجلد صيانة الجسم ووقايته فاليه تنتهي اعصاب الحس واللمس ومن مسامه تخرج بعض مفرزات الجسم فتتنظم درجة حرارته . وفيه الغدد العرقية والغدد الزيتية او الدهنية فالاولى لحفظ حرارة الجسم على درجة واحدة والثانية لصيانة الجلد وصحة الجلد نتوقف على بقاء عمله وطرح القشور الجافة منه واستبدالها بقشور جديدة . والسبيل الى ذلك ان يكون الطعام ملائماً والرياضة كافية والاستحمام متواتراً . فان في سطح الجلد ما يزيد على مليونين من المسام تخرج منها بعض فضلات الجسم فاذا تجرّ ماء العرق بقيت المادة السامة على سطح الجلد فاذا لم تزل بالاغسسال عاد الجسم فامتص بعضها وسد البعض الآخر مسام الجلد . واذا سد نصف تلك المسام عقب ذلك الموت لا محالة وقد كان الناس في العصور الوسطى لا يغتسلون فاذا هبت من اجسامهم رائحة خبيثة كانوا بتطيبون بالاطياب منعاً لها فكثرت بينهم الادوية والاوباء وامراض الجلد والاورساخ التي تتراكم على سطح الجلد تسد المسام كما تقفد وتبلي الجلد فتظهر البثور والدمامل على سطحه والاكثر العمل على الرئتين او الكليتين او عليها كلها معاً فتقرح وتسوء الصحة

وكثيراً ما تظهر البثور على الوجه والسبب في ذلك ان الناس يعنون على الغالب بنظافة وجوههم دون ابدانهم فتندفع الفضول الى الوجه لتتصرف منه الى الخارج والحمّام على نوعين او بعبارة اخص للحمام غايتان . الاولى تنظيف الجلد فقط والثانية تنظيف الجلد ومساعدته على طرد الفضول الى الخارج بزيادة حرارته وتفتيح مسامه . فلباوغ الغاية الاولى يغتسل بماء فاتر ثم يصب على الجسم ماء بارد . او يغتسل بماء بارد فقط . وطريقة الاغسسال او الاستحمام هي ان يبل الصدر والوجه والعنق اولاً بالماء البارد ثم ما بين الكتفين نازلاً على السلسلة الفقارية وتفرك هذه المواضع جيداً باليدين ثم يصب الماء على البطن والوركين والظهر والذراعين والساقين وتفرك جيداً في اثناء ذلك . ثم ينشف الجسم بمنشفة

خشنة وتلبس الملابس حالاً . ويروض الجسم بعد ذلك اما بالمشي او بغيره بحيث يحصل من الحمام رد فعل

والفرك اهم ما في الحمام فان الماء يلين القشور التي تغطي الجلد والفرك يزيلها ويدفع الدم الى سطح الجلد فتسرع الدورة الدموية وينتعش الجسم . والحمام اليومي يصير الجلد ناعم الملمس كالحرير على شرط ان يكون الطعام في اثناء ذلك سهل الهضم حسن الغذاء اما تنظيف الجلد بزيادة حرارته وتفتيح مسامه فيكون بالحمام الحار والصابون . واذا اُطيل الحمام كثيراً أضعف الجسم . ولا بد من الراحة بعده والا ذهب نصف فائدته سدى . فذلك يستحسن الاستحمام بالماء الساخن قبل النوم . ويجب غسل الصابون جيداً لانه اذا بقي على الجلد اضر به

ومن اهم الامور للجسم غسل المعدة اذا كانت معرضة للاختلال والارتباك وطريقة ذلك ان يشرب العليل كأساً او كأسين من الماء الساخن صباحاً قبل الطعام فتطرد المواد المخاطية التجمعة فيها وتترك نظيفة مستعدة لقبول الطعام

الرواء . وهو ماء الوجه او ما يسميه الافرنج (complexion) وهو يتوقف على شفوف الجلد وصحته وحالة الدم وحسن الطعام . والحمام مجلبة لشفوف الجلد وصحته ومصلح للدم على شرط ان يكون الطعام حسناً صالحاً للتغذية

وأفات الرواء اصفرار الوجه وحب الصبا والنمش والكلف والتلويح او السفع وسبب هذا الاخير كثرة التعرض للشمس . واما الاخرى فمنها ما هو خلقي كالنمش ومنها ما سببه اهمال الجسم وعدم العناية به . وكما تقدم الانسان في السن ظهرت الغضون والاسارير في وجهه وسببها كثرة تحريك الجلد في مكان دون الآخر فكثرة العبوسة وتقطيب الجبين تفضن الجلد ما بين الحاجبين . وكثرة الابتسام تحدث الاسرة فيما يلي الفم والعينين

اما اصفرار الوجه فقد يكون سببه بلادة في الكبد او سوء التغذية وعلاجه تنظيم امر الاكل والاستحمام والرياضة والتنفس العميق . وليكن الطعام خضراً واثماًراً . وليشرب العليل كأس ليونادة بلا سكر قبل النوم . واذا كان مصاباً بعسر الهضم ايضاً فليأكل كل مرتين في اليوم فقط الاولى الساعة العاشرة صباحاً والثانية الساعة الرابعة بعد الظهر

واما الكلف فسببها اختلال في بعض وظائف الجسم مثل امتصاص الجسم لمفرزاته او عدم انتظام الكبد . وعلاجها تنطيل الوجه وذلك بان توضع قطعة من الفلانلا فوق بخار الماء ثم توضع على الوجه حتى تبرد . ويكرر ذلك مراراً ثم يغسل الوجه بماء بارد اذيب فيه بعض

كربونات الصودا ويدهن بزبدة غير مملحة او فازلين او زيت حلو . ودهن جوز الهند افضل
الادهان لذلك

واما التلويع فيعالج بالدهن بمزيج مؤلف من زيت الزيتون وماء الكلس على نسبة واحدة

اثاث غرفة المائدة

اذا كانت غرفة المائدة متجهة الى الجنوب وفيها بساط يغلب فيه اللون الاخضر والازرق
ومائدتها وخزائنها وكراسيها من خشب الكاجو الاحمر وجلدها بني وجب ان تبطن جدرانها
بورق بني له حواش يغلب فيها اللون الاخضر والازرق والنحاسي وان يكون لون ستائر
نحاسياً وان تكون انيبتها المعدنية من النحاس ويصنع الخشب الذي فيها بلون بني . وكذا اذا
كان خشب المائدة والخزائن والكراسي من الجوز . واما اذا كان الخشب من السنديان وجب
ان يكون لون البساط كثير الخضرة وكذلك لون ورق الجدران او دهانها ويكون في الحواشي
ازهار وردية وجلد الكراسي اخضر او زيتياً

العسل في البيت

كان القدماء يكثر من اكل عسل النحل . فلما كثر السكر ورخص ثمنه قل استعمال
العسل جداً وقلت تربية النحل ايضاً وهذا خطأ لان عسل النحل احلى من السكر واطيب منه
طعماً واكثر منه نفعاً هذا من حيث كونه طعاماً . وله فوائد اخرى فانه يلين الجلد اذا دهن
به الوجه واليدان واكثر الادھنة المستعملة لتليين الجلد قوامها العسل

تعليم الاولاد التوفير

ملكة التوفير من اهم الملكات التي يجب ان يربى عليها الصغار فلا بد لك من ان تعطي
ولدك قليلاً من التقود وتعلمه ان يعرف قيمتها وذلك بان تدعه يصرف بعضها ويوفر بعضها
فاعطه مثلاً غرساً كل اسبوع واشتر له صندوقاً صغيراً يضع فيه ويصرف نصفه يشتري
شيء يحبّه او يفيدّه ويوفر نصفه ومتى وفر عشرة غروش او عشرين غرساً فدعه يضعها في
صندوق التوفير في البوسطة او في بنك من بنوك التوفير . وكلما توفر معه خمسة غروش دعه
يضعها فوقها فيصبر يوفر من نفسه . ولكن التوفير وحده لا يكفي لثلاً يصير بخيلاً فعلمه ان
يشتري ببعض ما يوفره شيئاً مما يحتاج اليه او يدفعه احساناً لفقير او ثمناً لهدية يهديها الى
صديق له فيربي على صفتين شريفتين الاقتصاد من جهة واستعمال المال في ما يصلح استعماله
له من جهة اخرى فلا يشب مبذراً ولا مقترراً

قلي سمكة موسى

وصفت الجريدة الانكليزية المسماة عالم المرأة كيفية قلي سمكة موسى قالت : اغسل السمكة جيداً واقطع رأسها وزعانفها وذنبها ولتها بالدقيق حتى تنشف واضرب بيضة حتى تخرج جيداً وغط السمكة فيها ثم لتها بمدقوق الخبز المحمص واقلها قليلاً في مقلاة صغيرة كثيرة الزيت او السمن ثم صب الزيت او السمن عنها وانقلها الى مقلاة كبيرة فيها صاصة وضعها على نار خفيفة ربع ساعة ثم صبها في صحن وكلها مع الفطر او الخضر المطبوخة . والصاصة المشار اليها تصنع من الزبدة والبصل والجزر والدقيق والماء تسخن اوقية ونصف من الزبدة يضاف اليها نصف جزرة مفرومة فرماً رقيقاً ثم بصلة صغيرة مفرومة ومتى قلي البصل وصار لونه اصفر ذهبياً اضع اليه اوقية ونصفاً من الدقيق ثم فنجاناً كبيراً من الماء واغله جيداً واضف اليه ما يكفي من الملح والبهار . ويحسن ان تضيف الى الماء نصف معلقة من مربى الطماطم

تاريخ الدولة العلية

تاريخ الدولة العلية

أهدي الينا كتاب " التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية " لحضرة مؤلفه الفاضل ابراهيم بك حلیم مفتش اوقاف دمنهور . وهو يتضمن تاريخ سلاطين آل عثمان وما تم على ايديهم من الفتوحات وما جرى من الحروب وما عقد من المعاهدات بينهم وبين سائر الدول واسماء معاصريهم من الملوك والامراء من عهد السلطان عثمان الاول مؤسس الدولة العثمانية الى عهد سلطانها الحالي

والكتاب كبير فيه نحو ٢٥٠ صفحة ومطبوع في مطبعة ديوان عموم الاوقاف . وجذا لو غني حضرة مؤلفه العناية الكافية بتصحيح عبارته وروايته لان كتاباً مثل هذا جدير بان يكون اماماً للعثمانيين في معرفة تاريخ دولتهم

واننا نورد المثال التالي من هذا الكتاب للدلالة على قلة ما فيه من الدقة في سرد الوقائع التاريخية قال

” وفي سنة ١٢٥٦ اهتم محمد علي باشا وابنته ابراهيم باشا بالحرب وظلنا ان موت السلطان محمود وجلس السلطان عبد المجيد بكونان سبباً لاقام انتصاراتهما فارسلت الدولة دونامة عظيمة الى ميناء وسواحل اسكندرية واحالت ادارة ولاية مصر موقتاً على محمد باشا عزت فاستولت الدونامة على قلاع جونية وصيدا وسوريا وانتصرت عساكر الدولة برّاً على ابراهيم باشا. فلما رأى ذلك مير بشير رئيس المشايخ ترك مساعدة ابراهيم باشا وانضم الى عساكر الدولة وكذلك اهالي ومشايخ جبل لبنان والشيخ احمد بك شيخ العربان ثم استولت عساكر الدولة على قلاع صيدا وعكا وطرابلس وحما وحمص . اما من جهة الدول فان انكلترا واوستريا والروسيا وبروسيا قطعوا العلاقات مع محمد علي باشا بل ان انكلترا اظهرت المساعدة للدولة ثم بواسطة المذكورين وتعهداتهم بعدم عصيان محمد علي باشا مرة اخرى تم الصلح على ما هو معلوم فبناءً عليه عادت دونامة الدولة السابق تسليمها الى محمد علي باشا الى الاستانة كما كانت“
فليقابل القارى ذلك بما هو معلوم من حروب ابراهيم باشا في بلاد الشام ومساعدة الدول الاوربية للدولة العلية كما سنبينه في الجزء التالي من المقتطف

الكلية الشرقية

أهدي الينا كتاب الكلية الشرقية لسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ . وهي الكلية التي انشأها الرهبانية الكاثوليكية في مدينة زحلة بلبنان سنة ١٨٩٨ . وهو يشتمل على مقدمة في مختصر تاريخها وعلى قوانينها واشغالها المدرسية واسماء اساتذتها وتلامذتها ودوائرها وترتيب صفوفها . وفيه ثلاث صور لها من جهات مختلفة . ويظهر منه انها سائرة في مقدمة المدارس العليا بهمة اساتذتها ومديرها فندعو لها بالتقدم والنجاح

تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس

الاثر النفيس في تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس من قلم عزتلو وهي بك مدير مدرسة الاقباط الكبرى وناظر المدارس القبطية . وهو ثلاثة ابواب الاول في تاريخ مصر من عهد مينيى الى هذا العصر . والثاني في ملخص تاريخ بطرس الاكبر . والثالث في محاكمة الكسيس وهو رواية محزنة ذات خمسة فصول ثرية وشعرية . وبلي ذلك خاتمة الكتاب في خلاصة تاريخ الروس بعد وفاة بطرس الاكبر الى هذا اليوم . والكتاب حسن اللغة صحيحها مثل كل ما ينشئه حضرة مؤلفه . فنشكر له غيرته على نشر الآداب

حقوق المرأة في الاسلام

وضع هذا الكتاب حضرة احمد بك اجايف من كتاب الروس وعربة حضرة الاديب سليم افندي قبعين وقدمه الى حضرة القاضي الفاضل عزتوقاسم بك امين صاحب كتاب تحرير المرأة وقال في مقدمته انه احتمل مشاق تعريبه والانفاق على طبعه ليطلع عليه اخوانه من مسلمي الشرق فيعلموا ان الناشئة الاسلامية في روسيا تشكو نفس شكوى الناشئة الاسلامية المصرية من سوء حالة المرأة المسلمة وخرج مركزها في المجتمع الانساني

هذا وقد رأينا ان ننقل الفصل الآتي من هذا الكتاب المستطاب اظهاراً لفضل المؤلف والمغرب وايضاً لاسلوبيهما في الانشاء والترجمة وتعمياً لما فيه من الفوائد : —

”ونحن الآن نترك البحث فيما وصلت اليه حالة المسلمين ونأخذ بتلايب مسألة المرأة وعلاقة الاسلام بها من الوجهة العملية او بعبارة اوضح نبحث فيما جاء في الديانة الاسلامية من التعليم بخصوص المرأة ونعرف القارئ بالحالة التي وجد فيها محمد المرأة في البلاد العربية خصوصاً والشرق عموماً ثم ننقل بعد ذلك الى البحث فيما صنعه للمرأة او فيما حاول صنعه لها على الاقل . واطن ان هذه الطريقة تؤدي الى امكان معرفة ما استوول اليه حالة المرأة المسلمة في المستقبل عند ما يفتح الله بصيرة المسلمين ويكشف لهم عن نور الحقيقة فيدركون جوهر دينهم ويفهمونه فهماً حقيقياً كما هو . ومن جهة اخرى ارجو ان ادحض تلك المثالب التي ينسبها للاسلام اولئك العلماء والباحثون المجردون عن الانصاف الذين يستسلمون للاغراض والاهواء النفسانية فيصدرون احكاماً سطحية تكذبها الحقيقة الراهنة كالتهمهم الاسلام مثلاً باحداث امر تعدد الزوجات

ان حالة المرأة في البلاد العربية والمتاخمة لها قبل ظهور الاسلام كانت حالة مؤلمة لا يرضاها من كان في فؤاده اقل شعور حي . ففي بلاد فارس لم تكن المرأة تمتاز في شيء عن الامة او العبداء الرقيقة فكانت تقضي جميع ايام حياتها مسجونة ضمن جدران منزلها لا يسوغ لها ان تخرج منه مطلقاً او تجيل بصرها في فسيح الفضاء . وقد اباحت نظمات البلاد المدنية بيع وشراء النساء كالسلع^(١) واما نظمات البلاد الدينية فقد اباحت الزواج بالامهات والاخوات والعمات والخاللات وبنات الاخ وبنات الاخت^(٢) . ثم انه في الادوار الطبيعية المشهورة التي

(١) راجع كتاب (شاه نامه) للفردوسي

(٢) “Zende Avesta” James Dermerterer.

تحدث للمرأة كانت نساء الفرس يُبعدن عن المنازل ويقمن في خيام صغيرة تضرب لهن في ضواحي المدينة أو البلدة ولا يجوز لأحد مخالطتهن قطعاً (وتعرف تلك الخيام المخصصة لاقامة النساء في أيام الطمث باسم داخمي) حتى أنه كان يجب على الخدام الذين يعهد إليهم تقديم الطعام والشراب لهن أن يلبسوا مقدم أنوفهم وأذانهم وأيديهم بلفائف من القماش الغليظ وكانوا يتحفظون بمثل هذا التحفظ لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يتنجسون إذا مسوهن أو مسوا الخيام أو الأشياء المحيطة بهن حتى الهواء^(١) وكانوا يكرسون بنات الاشراف والملوك للالهة أناخيدا المشهورة حيث كان كهنتها يتممون عليهن بعض الفروض المخصوصة ويعدونهن بتعاليم خاصة الى الزواج^(٢) وأما بشأن حقوق المرأة ومركزها في العائلة ونسبتها الى زوجها والديها فحدث ولا حرج فان النساء كن في بلاد فارس تحت سلطة الرجل المطلقة الذي كان يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة طبقاً لما يراه وتطيب له نفسه وبوجه عام فإنه كان يتصرف بها كما يتصرف بسلع وادوات بيته

وأما حالة المرأة في البلاد العربية فكانت اشد صعوبة واتعس حالاً منها في بلاد فارس فكان العربي يتطير اذا ولدت له ابنة وترعد فرائضه جزعاً ويعد ذلك علامة على عدم رضى الالهة عنه^(٣) فكان اما ان يثد بناته في الرمل أو يبيعهن بيع الرقيق أو يستبدلهن ببعض الحيوانات الالهية^(٤) وأما الزواج عند العرب فلم يكن له نظام مخصوص محدد ببعض الفروض أو مقيد بعادات متبعة بل كان يحدث بطريق المصادقة ولم يكن أحد الزوجين ملزماً بدفع بائنة أو شيء من الأشياء. ويظهر للباحث ان اخلاق العرب البدوية وما اتصفوا به من البسالة والشجاعة والفروسية كانت السبب الوحيد في عدم تقييد الزواج باصول متبعة. والغالب ان الزواج كان يحدث من طريق الحب الاختياري المقرون بالتغزل والقصائد الشعرية وبدائع النسب وفي جميع احواله كانت الحرية مطلقة للزوجين ان يترك احدهما الآخر متى شاء وادار الامر الوحيد الذي كان يربط الاتحاد الزوجي انما هو الخوف من انتقام اقارب المرأة الاشداء البأس. وقد وصف ذلك أحسن وصف في الرواية الآتية الطبري المؤرخ العربي المشهور^(٥) في واقعة احد التي وقعت بين اهل مكة وصحابة النبي محمد اهل المدينة خرجت نساء المكيين الى ساحة القتال وراء ازواجهن وكانت ترأسهن هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان

(١) لبيد (٢) راجع كتاب (المملكة العربية السابعة) لرولتون

(٣) راجع كتاب (الاسلام ومؤسسه) لجون شول (٤) راجع كتاب (البلاد العربية قبل

الاسلام) لماشاوف (٥) الطبري صحيفة ٢٦٥ طبع القاهرة

وقد قامت في النسوة اللاتي معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم
فقال هند فيما تقول

ومها بني عبد الدار ومها حماة الادبار ضربا بكل بثار
وتقول ايضا ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
او تدبروا تفارق فراق غير وامق

وكان تعدد الزوجات لدى ظهور محمد منتشرًا انتشارًا هائلًا فلم يكن عربي ميسور إلا
وتراه متزوجًا ١٥ او ٢٠ واحيانًا ١٠٠ زوجة^(١) وكانت المرأة محرومة من جميع الحقوق على
الاطلاق وحالتها لما يرثي لها فلم يكن لها حق بالارث عن زوجها او احد اقاربها من
الرجال^(٢) وكانت عندهم عادة مقدسة معمول بها تحول الوالد حق التصرف بينته كيف يشاء
فكان يزوجه لشخص وهي رضية في المهد فاذا ما نمت وبلغت سن الرشد لاتستطيع المعارضة
بل يتغم عليها ان ترضخ رضوخًا اعمى لاحكام والدها عليها^(٣)

اما النبي محمد فانه نادى في بدء ظهوره بضرورة ازالة تلك العادات الحمجية البربرية
المتبعة مع النساء وكان يتأثر اشد التأثر لحالة المرأة وما هي عليه من الانحطاط والامتهان ولم
يكن فؤاده الرقيق يتألم ويتأثر ايضا بشيء مثلما يتأثر مما كان يراه من حالة المرأة السيئة
المتروكة دون اقل اهتمام وليس لها عضد او نصير وكذلك كان يتألم لرؤيته الاطفال والاولاد
الذين يتركهم والدوهم ومثل ذلك الغرباء الذين لا مأوى لهم والمطلع على ما ورد في القرآن
الكريم من الآيات البينات بشأن النساء والايام والغرباء لا يفتأ حتى يتقطع فؤاده الماء وجزعًا
لما تضمنته تلك الآيات من الكلام المؤثر الشديد للهمة وقد خصصت في القرآن سورة طويلة
للنساء معروفة بهذا الاسم وهي تدل دلالة واضحة على الاهمية الكبرى التي اظهرها محمد
بشأن مسألة المرأة وتبتدى تلك السورة بآية لم يكن ينتظر سماعها رجال العرب وعدوا ذكرها
جرأة عظمى وهي: "يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة". ان كلمات هذه
الآية اشتهر منها العرب الوثنيون رائحة الاضطراب والثورة المقصود بها القضاء على سننهم
ونفاليدهم وعاداتهم واخلاقهم وافكارهم وافهامهم ولكن اذا نظرنا الى كلمات تلك الآية من وجهة
اخرى نجد انها توجه الى العرب عبارات التوبيخ والملام المملوءة بالعار والشنار وتفهمهم ان
الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة وانهما متساويان في كل شيء ومسؤولان امام الله على

(١) انظر كتاب مخة الصادقين في تفسير القرآن للملا فخر الله ص. ٢٢٢ وما بعدها

(٢) تفسير القرآن للملا فخر الله ص. ٢٢٣ وما بعدها (٣) ابن خلدون

السواء عما يفعلانه . وبعد ذلك يقص القرآن كيف خلق الله آدم وحواء واورد تلك القصة كما جاءت في التوراة بتغيير طفيف لا يذكر ونحن لا نتسك كثيراً بآيات هذه السورة التي نزلت خاصة للمرأة لانها لم تجيء مترادفة بل تخللتها آيات كثيرة خاصة بالتعليم عن القداسة والاعمال الطيبات واغاثة الملهوف وحماية الغرباء والرفق بالايام وغير ذلك . ثم ان القرآن وقف وقفة المدافع الشجاع ضد عادة العرب الحمجية الا وهي اؤد البنات في الرمل وقد ورد الكلام عنها دفعتين في الاولى مثل للقارىء حالة جهنم الخيفة ونيرانها الملتهمية وافاعيا المتصاعدة من افواهها النيران المحرقة ثم اقام امام عيني العربي ابتنة المؤودة تقول له (واذا المؤودة سئلت باي ذنب قتلت) وفي الدفعة الثانية يصف جنة الخلد وصفاً مؤثراً ثم اتبعه بالآية القائلة (ولا تقتلوا اولادكم) وفوق هذا وذاك فان محمداً لم يدع في حياته احداً يثد بنتاً واجتهد اجتهاداً عظيماً لنزع هذه العادة من بين العرب ولم يقف عند هذا الحد بل زرع في قلوبهم هول وفضاعة هذا العمل الشنيع . وبعد فتح مكة ودخول اهلها الوثنيين في الاسلام كان من جملة الشروط عليهم ان يقسموا الايمان الغليظة بعدم اؤد بناتهم (١)

وعدا ذلك فقد وصلت الينا جملة احاديث نبوية تتضمن الكلام بخصوص المرأة ورفع منزلتها في عيون العرب ففي احدها جاء ما مضمونه (ان ولادة البنت علامة من علامات نعم الله ومراحمه)

ووردت ايضاً احاديث اخرى بشأن الاولاد الذين يمتنون كيف انهم يشفعون بوالديهم ويكونون وسيلة لادخالهم الجنة فنذكر بعضها اتقماً للفائدة

اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ذراري المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافعين ومشفعين "

واخرج حميد بن زنجون ومسلم وابو نعيم عن حسان قال قلت لابي هريرة توفي لي ابنان فحدثني شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تطيب به انفسنا عن موتانا قال " صغارهم دعاميص الجنة يلقي احدكم اباهُ فيأخذ بصنفة ثوبه كما اخذت بصنفة ثوبك فلا ينتهي حتى يدخله الله واياه الجنة "

وروى ابو النضر السلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم الا كانوا له جنة من النار "

واخرج البخاري والنسائي وابن ماجه عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من

الناس يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم^(١)
ومنها ايضا . روى ابو هريرة عن شيخ من بني تميم عن عمر بن ابي بكر عن محمد بن ابي
فراس عن احمد بن الهيثم بن فراس بن خلف بن المرزبان قال ان قيس بن عاصم دخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حجره بعض بناته يشمها فقال له ما هذه السخلة تشمها فقال
هذه بنتي فقال والله لقد ولد لي بنون ووادت بنيات ما شممت منهن انثى ولا ذكرا قط فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل الا ان ينزع الله الرحمة من قلبك^(٢)
وقال النبي ايضا في بعض كلامه (الجنة تحت اقدام الامهات)^(٣) . وبعد ان رفع النبي
محمد كما قدمنا منزلة المرأة الادبية حولها حقوقا واسعة لم تخطر على بال احد من المشرعين
العصرين كالفرنسيين مثلاً او سوام

ان البنات بحسب الشريعة المحمدية يرثن عن آبائهن وامهاتهن ثم ان الشريعة حرمت على
الوالدين السلطة المطلقة على البنات فلا يستطيعون التصرف بشؤونهن قبل بلوغهن سن الرشد
وبعد ان تبلغ البنات الرشد يجوز لهن الزواج بمن يخترنه لنفوسهن بلا قطع النظر عن موافقة
والدیهن . والزواج بدون ارادتها يعد لاغياً فاسداً غير شرعي وهن يتمتعن بجميع الحقوق
المدنية ويستطعن الاشتغال بآية مهنة شريفة يردنها ويعقدن السندات سواء لهن او عليهن^(٤)
ثم ان الشريعة السمحاء خولت المرأة المتزوجة جميع الحقوق المدنية فهي تدبر شؤونها وممتلكاتها
بنفسها مستقلة بذلك عن زوجها الذي لا يحق له ان يازمها بعمل امر من الامور قط عدا
ارضاع اطفالها وانما هي مرغمة لزوجها بالعفة المطلقة والطاعة ضمن حدود معلومة واذا شاءت
الاغناء بتدبير شؤون منزل زوجها وممتلكاته فانما تأتي ذلك مخيرة يدفعها الى ذلك
حبها الحقيقي له . ثم ان كل خصام يحدث بينهما ينبغي ان ينظر ويحل بواسطة مؤتمر عائلي
مؤلف من حكم من اهلهم وحكم من اهلها قال الله تعالى " وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا
حكما من اهلهم وحكما من اهلها ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما " والشريعة السمحاء
خولت للنساء حق الارث عن ازواجهن واولادهن . وامرت الشريعة ايضا بان يكون عقد
الزواج مبنياً على الحب الحقيقي فقال جل شأنه " فانكحوا ما طاب لكم من النساء " وهو مؤسس
على فروض شرعية مقدسة تجعله محترماً معلوماً لدى الجميع وقد جاء في القرآن الكريم " ومن
آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة " . اجل انه

(١) الاحاديث الشريفة المذكورة مأخوذة عن رسالة المجلد عند فقد الولد للسيوطي

(٢) ابوالفدا . كذاب الاغالي (٣) ارنست رنان في كتابه تاريخ الاديان (٤) مجمع النورين

يسوغ نقض عقد الزواج لان الشريعة اباحت الطلاق وانما ضمن حدود معلومة حيث ينبغي ان يكون مبنياً على اسباب شرعية ويتحتم على الرجل في جميع احوال الطلاق (ما عدا طلاقه زوجته بسبب خيانتها وعدم صون عرضها) ان يدفع لها نفقة العدة لمدة ثلاثة شهور على الاقل . و اباحت الشريعة للمرأة المطلقة ان تبقي لديها اولادها الصغار وفي مثل هذه الحالة حتمت على الرجل ان يدفع لها نفقة لتنفقها على تربية الاولاد . قدمنا ان الشريعة اباحت الطلاق ولكنها من جهة اخرى حقرتة و ابغضته فقد جاء في الحديث الشريف " ابغض الحلال عند الله الطلاق " ثم ان الشريعة حتمت على الازواج ان يعيشوا مع زوجاتهم على اتم وفاق ووثام قال الله تعالى " وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وثامناً مبنياً وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظاً " . ثم انه يتحتم على الازواج ان يتساهلوا مع زوجاتهم ويصفحوا حتى عن الزوجة التي تسقط في الضلال وتمزق شعار طهارتها وعفتها . ثم اوضحت الشريعة ايضاً بأنه لا يجوز ادانة الزوجة بالزنا المجرد الشك او التهمة او السماع وانما ينبغي ان ينظر قضية ادانة الزوجة بالزنا مجلس عائلي يتثبت من الامر بشهادة اربعة شهداء عدول مشهود لهم بطهارة الذمة والامانة وعدم الميل لغرض من اغراض القضية المرفوعة وقبل اصدار الحكم يدعوها المجلس الى التوبة والرجوع عن غيها وضلالها قال الله في كتابه العزيز

" واللاتي يا نين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلاً والذان بأثيانها منكم فاذوها فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان تواباً رحيماً "

افليس هذا الكلام يطابق كل المطابقة لتعليم نبي الله الآخر (عيسى) عن المرأة الزانية او ليس ايضاً كان سماع مثل هذه الآيات البنات صعباً على اولئك الاعراب البرابرة المتوحشين الذين كانوا يرمجون نساءهم بالحجارة لاقول حادث او اثم بسيط^(١)

ولنتنقل الآن الى الكلام على تعدد الزوجات فقد سبق لنا القول بأنه عند ظهور النبي كان امر تعدد الزوجات منتشرًا انتشاراً هائلاً في البلاد العربية والبلاد المجاورة لها ولم يكن في الامكان ازالة هذه العادة التي رسيخت في افئدة القوم منذ اجيال عديدة ويظهر ان تلك العادة كانت من مطالب الحياة الضرورية لاهل الشرق ولا يمكنهم ان يستغنوا عنها او يعيشوا

بدونها وينسبون اسباب انتشارها بين الشرقيين الى المناخ وتركيب بنية اجسامهم ولكن مع ذلك فقد اصحح الاسلام هذه العادة وصنع كثيراً للشرق بشأنها فقد عين اولاً بان عدد الزوجات الشرعيات ينبغي ان يكون اربعة وحصر هذا التعيين ضمن حدود معلومة يصعب على الانسان تعديها او القيام بما جاء فيها ولذلك فاذا تأملناها فاننا نجد انها تقضي الى الزواج بواحدة . ورأس هذه الحدود انه يتعم على الرجل ان يعدل بين جميع زوجاته ونحن ايضا كما لذلك نكتفي بايراد مجمل اقوال المفسرين لكلمة "العدل" كالامام خنجر الرازي والملا فتح الله وغيرهما : ينبغي على الرجل ان يطلق العدل ليس فقط على علاقاته الخارجية مع زوجاته اي الاتفاق عليهن على السواء كلا بل يجب على الرجل ان يعدل في محبته بين نساءه وهل هذا امر مستطاع يا ترى ؟ وقد اجاب القرآن الشريف على هذا السؤال بقوله تعالى "ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا او تصحوا فان الله كان غفوراً رحيماً" ولذلك كان العدل بين النساء من رابع المستحيلات يؤدى بالذين يتزوجون باكثر من واحدة الى ارتكاب الخطيئة وتعدي حدود الله فما العمل ايضاً لقاء هذا الامر . وعلى هذا السؤال ايضاً يجيب القرآن الكريم بقوله تعالى "فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم . ذلك ادنى ان لا تعدلوا"

ان الآيات التي اوردها تدل دلالة واضحة على ان الاسلام مؤيد للزواج بواحدة وهذا امر مما لا ريب فيه وانه سيأتي يوم عند ما يدرك المسلمون فيه روح دينهم وجوهره سينبذون عادة تعدد الزوجات ويقبلون من نفوسهم على امر الاكتفاء بزوج واحدة ولذلك فيخطئ كتاب الاوربيين خطأ جسيماً باتهامهم القرآن ومحمداً بعداء نصف الجنس البشري اي المرأة ويخطئون ايضاً بنسبتهم جمود المسلمين ونقائصهم الى الدين مع انهم لو انصفوا ونطقوا بالحقيقة تجردوا عن كل غرض سبيء لرأوا ان هذه النقائص وجدت من نفسها في العالم وان دين اولئك الكتاب اي النصرانية يقاومها مقاومة عنيفة متواصلة اما القرآن فقد قام بعمل خطير جداً فانه رفع شأن المرأة واعلى منزلتها وخولها حقوقاً لم يسمع بمثلها في الشرق مطلقاً فانه جعلها امراً وزوجة بعد ان كانت امة ليس لها كرامة او مقام معروف . وقد ادركت النساء مقدار الحقوق التي خولتها اياها الشريعة الغراء فتمسكت بها وحافظت عليها ودافعت عنها دفاعاً شديداً ولم تخش بسببها بأس احد يدلنا على ذلك الرواية الآتية التي رواها الملا فتح الله في تفسير القرآن العزيز حيث جاء فيه ما نصه : بعد وفاة النبي وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يحطب في الناس واظهر في خلال خطبه انه يروم ابطال عادة دفع المهر للزوجة فقامت احدى

النساء المحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة : يا امير المؤمنين انك
لا تستطيع ان تحرمننا ما انعم به علينا الله ورسوله فرجع الخليفة عن عزمه . انتهى

جواهر البلاغة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي الهاشمي مراقب مدارس فكتوريا الانكليزية
في القاهرة نسخة من كتاب الفقه حديثاً وسماه " جواهر البلاغة " في المعاني والبيان والبدع
والعروض والقوافي وفنون الشعر الثلاثة عشر . وهو على مثال الكتب التي من موضوعه في
تبويبهِ وتقسيمهِ وتقديم بعض مباحثهِ وتأخير الآخر ولكنه ربما فاقها في حسن طبعهِ وما في
آخر كل فصل من التمرينات التي لا غنى للدارس عنها لفهم ما ورد في الفصول
وقد أكثر من الشواهد تحت بعض الانواع مثل حسن التعليل من المحسنات المعنوية
والجناس من المحسنات اللفظية . فأورد من الاول مثلاً قول ابي هلال العسكري
زعم البنفسج انه كعذار حسنًا فسلاوا من قفاه لسانه
وقال في تفسيره " فخرج ورقة البنفسج الى الخلف لا علة له لكنه ادعى ان علة الاقتراء "
واورد من الجناس اللفظي قول ابي فراس
ما كنت تصبر في القديم فلم صبرت الآن عنًا
ولقد ظننت بك الظنون لانه من ضن ظنًا
ومن الجناس المعنوي قول احدهم

منع الجسم تحكي الماء رفته وقلبه قسوة يحكي أبا أوس
فقال في تفسيره " واوس شاعر من شعراء العرب واسم ابيه حجر فلفظ ابي اوس يحضر في
الذهن اسمه وهو حجر وهو غير مراد وانما المراد الحجر المعلوم "
وبلي البدع العروض وتحنه ابواب في بحور الشعر المختلفة . ثم القوافي وفنون الشعر المخرجة
بالبحر كالنثريب والتشطير والتخميس والجارية على السنة العامة كالزجل والموالي . وبلي ذلك
كله خاتمة في السرقات والمحاضرات الشعرية
قلنا ان طبع الكتاب حسن وانما ينقصه شكل ما ورد فيه من الابيات والشواهد الشعرية
التي قد تلبس على المتعلم . لكن ذلك لا يقدح في فضل مؤلفه فله منا عاطر الثناء

الارشادات الوفية في القضايا الشرعية

ألف هذا الكتاب حضرة الاديب عبد المجيد افندي البيومي الكاتب في محكمة مديرية البحيرة الشرعية . وهو يحوي على فصول مختلفة في دعاوي النكاح والصداق والجهاز والطلاق والنفقة والموقف والولاية والرشد والارث والوصية وما اشبه . وقد قرطه حضرة الفاضل الشيخ علي هاني مفتي مديرية البحيرة فقال انه نافع في الغرض المطلوب من الاحكام

حسنا نيويورك

رواية ادبية فكاهية عربها عن الانكليزية حضرة نجيب افندي جرجس عبدالله واعني باصلاحها حضرة اسعد افندي ملحم وكلاهما من السوريين المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية وهي تفضل كثيراً من الروايات التي تتداولها الايدي الآن في لغتها وطبعها فانها سهلة العبارة صحيحة اللغة عموماً ومطبوعة طبعاً حسناً على ورق جيد فنثني على حضرة معربها واصلحها ونثني لها الانتشار

كتاب الزراعة

العدس المصري

من مقالة للمستر بونايرت من اساتذة مدرسة الزراعة الخديوية

العدس نبات معروف وجبوه كثيرة الاستعمال في هذا القطر والقطر السوري وكان بطيخ ويؤكل فيهما منذ الوف من السنين . قال المسبودة كندول النباتي الشهير انه كان يزرع في اسيا وبلاد اليونان وايطاليا قبل زمن التاريخ ونقلت زراعته منها الى القطر المصري

ويزرع العدس الآن في المانيا وفرنسا وجنوبي اوربا وجانب كبير من اسيا ولاسجا في الهند . وزراعته واسعة نوعاً في القطر المصري ولاسجا في الوجه القبلي وجوب العدس المصري صغيرة سمراء كثيرة الغذاء ولاسجا اذا قشرت فيها نحو ٣٥ في المئة من المواد الالبيومينية

و ٥٨ في المئة من النشاء ودرجتها في الغذاء ٨٧

والعدس الذي يُستغل من القطر المصري يؤكل فيه ولا يصدر الا القليل منه واكثر الصادر يرسل الى البلاد الانكليزية وسائر اوربا وتركيا

الارض الصالحة له — يزرع العدس في كل الاطيان . والاطيان التي لا يوجد فيها القمح والنول كالخفيفة والجديدة يوجد فيها العدس ولكنه يوجد بنوع خاص في الاراضي الطينية الرملية الجافة التي فيها شيء من الجير

اعداد الارض — اذا زرع العدس في حياض الوجه القبلي فلا تحث الارض له بل يزرع فيها ملقاً فيبذر على الارض بعد نزع الماء عنها كما تبذر الحنطة ثم تحث واما في الوجه البحري فتحث الارض مرة ويبذر فيها بمعدل اربع كيلات للفدان ثم تحث

وهناك زراعة ثالثة وهي زراعة العقر تحت الذرة فانه يبذر تحت الذرة والارض مروية ويترك الى ان تجف الذرة وتقطع فيروى مرة او مرتين

وقت الزرع — في الوجه القبلي في اواخر اكتوبر وبتاخر الزرع في الوجه البحري الى نوفمبر من ١٥ الى ٣٠ منه

الخدمة — اذا زرع في حياض الوجه القبلي فلا يحتاج الى شيء واذا زرع في الوجه البحري يروى مرتين غالباً المرة الاولى قبلما يزهر والثانية حينما يعقد زهره . ولا يستعمل له سماد مطلقاً

الجمع — يبلغ العدس في الوجه القبلي في اواخر شهر مارس وفي الوجه البحري في اواسط شهر ابريل ويقلع من الارض قلعاً قبلما يجف لثلاً يقع كثير من بزره ويبسط حتى يجف ثم يدرس كما تدرس الحنطة

مقدار محصوله — يبلغ محصول الفدان نحو ثلاثة ارادب من العدس وزن الاردب منها ٣٣ رطلاً وثلاثة احمال من التبن وتبن العدس اكثر غذاء من سائر انواع التبن ويضرب السوس العدس ولكنه اذا جرش وحفظ مجروشاً سلم منه . وهو اذا جرش يخسر كيلة من كل اردب تذهب كسراً وقشراً فيبلغ الكسر اوسن العدس قدحين والقشر خمسة اقداح والتراب نصف قدح . وسن العدس وقشره مغذيان جداً فيطعمان للمواشي لتسمينها انتهى

ولوزادت العناية بزراعة العدس وجلبت التقاوي من سورية مما لونه ابيض وهو سريع النضج اذا طبخ لكان منه ريج وافر

الزيتون وزيته

من المظنون ان موطن الزيتون الاصلي بر الاناضول وبر الشام ثم نقل منهما في عهد
بيد جداً الى مصر واليونان ثم الى بلاد اخرى فكانت زراعته منتشرة في ايطاليا واسبانيا
سنة ٦٠٠ قبل المسيح

والفرق بين الزيتون وبعض البزور التي يعصر الزيت منها انه يمكن عصر الزيت من
الزيتون بسهولة كلية بخلاف البزور الاخرى فانه يقتضي لها معاصر كبيرة لا يستطيع اقتناءها
سوى الاغنياء

والزيتون انواع فنه ما ثمرة كروي ومنه ما هو مستطيل ومنه ما هو رقيق القشر واللب
كبير النواة ومنه ما هو على ضد ذلك. ونضجه بطي يمتد في نحو عشرة اشهر وقبلما ينضج يكون
فيه كلوروفل وتين وكثير من الشا فاذا نضج اخفى الكلوروفل وهيدرات الكربون وحل
الزيت محلها في خلايا النواة والقشرة

وكمية الزيت في النواة واللب تبلغ معظمها في اثناء نضج الاثمار ثم تقل تدريجاً ويقال
بالاجمال ان الاثمار التي لبها سميك اكثر زيتاً من التي لبها رقيق ونواها كبير. واذا كانت
الاثمار من حجم واحد فان اخفها اكثرها زيتاً

وللتربة تأثير عظيم في كمية الزيت ونوعه. فاذا كانت التربة جيرية (كلسية) او ممتزجة
كان زيت الزيتون الذي يزرع فيها اغرمما يزرع في الاراضي الدلغانية الكثيرة الرطوبة.
والزيتون الذي يزرع في الاراضي الصخرية جيد الزيت جداً. ويختلف مقدار الزيت في
الزيتون البري من ١ الى ٩ في المئة اذا كان اخضر ومن ٢١ الى ٢٨ في المئة اذا كان جرجاراً
وفي الزيتون الجوي الجيد من ٤٠ الى ٥٠ في المئة

ويتوقف زمن النضج على الاقليم. ففي بر الشام يجنون الزيتون بين سبتمبر وديسمبر وفي
ايطاليا في نوفمبر وفي البرتغال في ديسمبر. وفي الجزائر وتونس يبتدى القطاف في نوفمبر ويستمر
طول الشتاء. وفي فرنسا يكون موسم الزيتون في اواسط الشتاء

وطريقة القطاف هي انهم يأخذون عصياً طويلة ويضربون الاغصان بها فيسقط الزيتون
الى الارض. ولكنها طريقة لا يصلح اتباعها لانها تضر الاشجار وتؤثر في حمل السنة التالية
وخير منها قطف الثمر الداني القطوف باليد والقاصي بالاضرب بالعصا. ويجب ان يتلقى الزيتون
بلاءات تنسحق الشجر وان يفرز الزيتون المصاب عن الصحيح

وأفضل الزيت ما استخرج من الزيتون حالما يقطف وذلك لأنه بعد قطفه يدب الاختار فيه فيخرج زيتُه حريِّف الطعم . ومن طرق حفظه بعد قطفه ان ينشر طبقة واحدة على موائد خشبية ولكن هذه الطريقة لا تفي بالمرام لأنه اذا ترك على تلك الحال دبَّ اليه الفساد في ثمانية ايام او عشرة . ومنها ان يوضع في الماء ويغير الماء من آن الى آن وهذه الطريقة لانني بالمرام ايضاً لانها تنفي الى خسارة بعض الزيت . وخير منهما الطريقة التي تتبع في الجزائر وهي ان يوضع الزيتون في ماء غال . ومن الطرق ان يوضع في آنية ويمس قليلاً فيخرج منه زيت يطفو على وجه الاناء فيحفظ ما فيه من الزيتون من الفساد . ومنها ان يملح الزيتون ثم يكب الماء الذي يتكون بعد تملحه فيحفظ بذلك شهراً الا اكثر . واحسن من ذلك كله ان يملح الزيتون ويترك سائماً في مائه فيحفظ خمسة اشهر ولكن الزيت الذي يستخرج منه لا يكون جيداً كالزيت الذي يستخرج من الزيتون الجديد

ويدرس الزيتون بحجارة كبيرة ثقيلة تديرها الرجال يكون الحجر منها اسطوانياً قطره نحو متر او اكثر وسمكه نحو نصف متر وهو ليس اسطوانياً تماماً بل مخروط ناقص اي ان احد وجهيه اضيق من الوجه الآخر . وله ثقب في محوره يدخل فيه عمود طويل يرتكز امام وجهه الاضيق على محور قائم ثابت ويكون تحت الحجر فرش من الحجر منبسط مستدير وبني حوله حاجز مرتفع فيدار العمود فيدور به الحجر على الفرش حول المحور القائم ويوضع الزيتون على الفرش فيهرسه الحجر هرساً ويصيره مادة رخوة القوام كرب الاثمار الناضجة . وقد يوضع على الفرش حجر واحد وقد يوضع عليه حجران متقابلان والعمود الذي يدير الحجر او الحجرين يديره الرجال او البهائم وقد يدار بقوة مائية او بخارية ومتى هرس الزيتون وصار رباً يوضع في قفف من الخوص او الخيش ويعصر الزيت منه بمعاصر لولبية او مائية

وعصر الزيت اسهل في الحر منه في البرد ولذلك يمزج الرب بماء سخن اذا كان الفصل بارداً او تحمي الآنية التي يوضع فيها حتى يستخن قليلاً او تزول برودته فقط لان الحرارة الشديدة تضربه . والزيت المعصور من الرب البارد اجود من المعصور من الرب السخن لكنه اقل منه . ويجب ان يكون العصر معتدلاً خفيفاً في اول الامر ثم يزداد رويداً رويداً لان الزيت الذي يخرج بالعصر الخفيف اجود من الزيت الذي يخرج بالعصر الثقيل . ثم يطلق البخار السخن في الرب ويعصر ايضاً فيخرج منه زيت اقل جودة من النوع الثاني . ولذلك فالزيت ثلاثة انواع اجوده ما يخرج من رب الزيتون بعصر خفيف وبتلوه ما يخرج منه بعصر

شديد ثم النوع الثالث الذي يخرج منه بعد ان يسخن على النار او بالنار السخن ويعصر منه والغالب ان لا يكون الزيت نقياً حالما يعصر بل يكون فيه عكر فيترك حتى يرسب العكر منه . او يضاف اليه ماء بارد فيحمل العكر وينزل به الى اسفل الاناء فيصفى الزيت النقي عن العكر . ولا بد من الاسراع في تصفية الزيت النقي والا تغير طعمه لان العكر والفضلات التي فيه تجنم فتؤثر فيه

والزيت الجيد يقيم مدة طويلة جداً من غير ان يتعكر او يحل به شيء من الفساد وهو خال من كل طعم آخر غير طعم الزيت الحلو . والزيت العكر اذا طال عليه الزمان زاد عكراً وفساداً . ولا يصح تعريض الزيت للهواء والنور والحرارة لئلا يسرع اليه الفساد ومهما كانت المعاصر قوية لا يستخرج بها كل الزيت بل يبقى في الكسب خمسة في المئة الى عشرة في المئة منه . والكسب يستعمل علماً ووقوداً فلا يضع من الزيتون شيء

باب المناظرة

قد رأينا بعد الاختيار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للادمان . ولكن المهلة في ما يدرج فيه على اصحابه ف نحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فهناظره نظيره (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعتبر باغلاطه اعظم (٣) خور الكلام ما قل ودل . فالملامات الوافية مع الامحياز تستغار علم المطولة

الرجوع الى الحق

الى منسئي المقتطف الفاضلين

قد اطلعت على رسالة في العدد الاخير من المقتطف من احد كرام المشتركين بشأن عدوى الجذام "ورجوعي الى الحق بعد خمس وعشرين سنة" ورأيت فيها وجهين للمسئلة احدهما شخصي يتعلق بي والثاني علمي . اما الاول فحقير لا يعتد به لاني لست بخارج عن قول المثل الروماني القديم الغلط من شأن الانسان

واما الوجه العلمي فله شأن عظيم لما فيه من العلم بوقاية الاصحاء من اخبث الامراض . وقد تذكرت ما توصلت اليه من هذا القبيل بعد درس طويل في مقالة ترجمت عن

الانكليزية وطبعت في المقتطف في هذه السنة (نيسان ١٩٠٥) . وخلاصة ذلك ان السبب الباثولوجي لهذا المرض نوع من الباشلس خاص به وانه لما كان الجلد مجلسه الاصلي ترجح دخوله اليه اما بواسطة خدش يجعله اليه الهواء او الماء او بواسطة لسع الحوام كالذباب والبعوض الذي ينقله من المريض الى الصحيح . فاذا ثبت هذا القول لم تكن العدوى بالملاسمة والمخالطة بل على وجه التلقيح ولكنه لا يثبت الا بمشاهدة هذا الباشلس في الحوام المحيطة بالمجذومين وهو امر لم يخطر لي مدة درسي الكلينيكي لهذا المرض فانركه الى غيري من احداث الاطباء

يوحنا ورتبات

بيروت

داء الاسد

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

قرأت في الجزء الماضي من المقتطف كلمة في " الرجوع الى الحق " ايد بها احد المشتركين صدق الحديث الشريف في عدوى الجذام ولا ازيد في نصر ذلك بتأكيده فان الدين رباً يحميه قال " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " . وليست هذه باول مرة وافق فيها الدين الاسلامي كل علم صحيح

ولكن رواية الحديث المشهور هي " قرء من المجذوم كما تقرأ من الاسد " لا كما ذكر هناك مغيراً

والعامه في مصر تسمي هذا المرض " بالاسد " فلعلهم تحفظوا هذه الكلمة من هذا الحديث هذا ما لاحظته فارجو اثباته في المقتطف ولكم الشكر

فنار بورسعيد

اعجب بهذا	الفنار مرتفعاً	بيت	بالنيران	ملتفعا
يلوح منه	الضياء منسلتا	كلسيف	راع الظلام	فانقطعاً
يقطع الليل	بالسنا قطعاً	قرء	مر السحاب	منقشعا
يبدو سناه	بمنظر بهج	كأنه	من زبرجد	لما
لا تسام	النفس حسنه ابدأ	وقد تمل	الاعياد	والجما
وهو اذا زدتوه	من نظري	يزداد حسناً	في غيره	امتعا

لو خيروا متعباً لينظره او يتنهى بالنوم ما هجعا
لو كانت الثاكلات تبصره لانسيت حزنها وما رجعا
ينحدر الضوء من جوانبه كأنه السيل جاء مندفعاً
يطلع في كل لحظة قمرًا يغني عن البدر حينما سطعا
لا البدر يغني السفار عنه اذا بدا ولا النجم كلما طلعا
يقصر النجم عن هدايته اما تراه للسفن مطلقاً
ترقبه السفن للنجاة كما ترقب غرقى البحار مرتفعاً
كأنه قبلة الصلاة لها او كلام تأتي له تبعاً
يحسب ربانها اشعته الجبال مستمسك بها انتفعاً
يدور في الليل حاكياً فلکاً يريكم الليل والنهار معا
سبحان ربي اعطى خليفته في الارض^(١) عقلاً فانظر لما صنعا
حسين عبد الفتاح الجمل

بَابُ الْمُنْتَبِهَاتِ

(١) قوات الدول البحرية

العثمانية ثم اليونان

ج لم نذكر اساطيل بقية الدول لانها ليست دولاً بحرية اي انها لا تعتمد في حروبها على الاساطيل البحرية اما لانها غير متصلة بالبحر فلا اساطيل لها او لان اساطيلها البحرية ضعيفة لا يعتد بها ومن هذا القبيل الدولة العلية فانها كانت قبلاً دولة بحرية وبرية ثم اهملت اساطيلها البحرية . فاكثر

سليم افندي صادق بكفر كلا الباب . ذكرتم في الجزء التاسع الصادر في غرة سبتمبر الماضي قوة كل دولة من الدول البحرية ورسمتم صورة اساطيلها مبتدئين بدولة بريطانيا العظمى ومنتهين بدولة النمسا ولم تذكروا قوة الدول الاخرى فارجو ان تبينوا لنا قوات الدول التي اهملتم ذكرها مبتدئين بالدولة

(١) خليفة الله في الارض الانسان قال الله تعالى في القرآن « وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » يعني آدم وذريته

سفنها الحربية قديمة لا يعتد بها في الحروب الحديثة وليس عندها من السفن الجديدة سوى طرادين محميين تفريغ كل منهما ٣٥٠٠ طن وفيه مدفعان قطر فوهة كل منهما ٦ بوصات وسبعة اعشار البوصة وقد اصلحت الطراد المسعودية في ايطاليا وفيه الآن مدفعان قطر فوهة كل منهما ٦ بوصات لكن سرعته لا تزيد على سبعة عشر ميلاً بحرياً في الساعة واصلحت ثلاثة طرادات أخرى في الاستانة اصلحها لها عمال ايطاليون فصارت عمارتها البحرية مؤلفة من ستة طرادات صغيرة تفريغ كل منها ٣٥٠٠ طن وستة من قوارب الطريد ولكن عندها من البحارة والجنود البحرية ما عند دولة من الدول البحرية الكبيرة فان عدد جنودها البحرية وبجارتها نحو اربعين الفا

اما اليونان فعندها ثلاث مدرعات صغيرة تفريغ كل منها ٥٠٠٠ طن وفي كل منها ثلاثة مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ١٠ بوصات ونصف وخمس مدافع اصغر منها قطر فوهة الواحد منهما ست بوصات وعندها ١٩ من قوارب الطريد لكنها قديمة لا فائدة منها وعدد الجنود والبحارة لا يزيد على ٤٠٠٠ نفس . واما سائر الدول فلا فائدة من وصف قواتها البحرية

(٢) الدولة العلية واليونان

ومنه . اي الدولتين اقوى بحراً الدولة

العلية ام دولة اليونان

ج يظهر من الوصف السابق ان الدولة العلية اقوى من دولة اليونان

(٣) الدولة العلية واسبانيا

ومنه . ما نسبة الدولة العلية الى اسبانيا الآن من حيث القوة البحرية

ج كانت اسبانيا من الدول البحرية الكبيرة قبل حربها مع اميركا وقد فقدت اكثر اسطولها في تلك الحرب ولكن لا يزال عندها الآن ما هو اقوى كثيراً من الاسطول العثماني فعندها بارجة تفريغها ٩٠٠٠ طن وفيها مدفعان قطر فوهة كل منهما ١٢ بوصة وستة اعشار ومدفعان قطر فوهة كل منهما ١١ بوصة وتسعة مدافع قطر فوهة كل منها خمس بوصات ونصف وطراد تفريغها ٩٢٠٠ طن وسرعته ٢٠ ميلاً بحرياً في الساعة . وجملة ما عندها الآن سفينة حربية من الدرجة الثالثة وسفينة من الدرجة الرابعة وثلاثة من الدرجة الخامسة وواحدة من الدرجة السادسة وواحدة من الدرجة السابعة وسبعة من قوارب الطريد وستة من متلفات الطريد وهي تبني الآن طرادين من الدرجة الخامسة وطرادين من الدرجة السابعة ففي اقوى جداً من الدولة العلية من حيث اسطولها

(٤) برد البطيخ في الشمس

ومنه . اتينا ببطيخة من محل منبتها وكان الوقت ظهراً فكان جلدها سخناً كأنه

موضوع في ماء مغلي ثم شققناها ووضعناها في الشمس نحو نصف ساعة فبرد لها حتى كأنها وُضعت في الثلج فما سبب ذلك

ج اذا مستخدم يدكم بماء حرارته مثل حرارتها تماماً شعرتم ببرودة لان الماء يتغير عنها وتيجره هذا يستدعي استخدام جانب من حرارتها اي ان جانباً من حرارة اليد يمدد الماء ويحولهُ بخاراً فتشعرون بالبرودة. واذا وضعت الماء في ابريق من الخزف الذي يرشح كثيراً لا يلبث ان يبرد لان الماء المترشح منه يطير بخاراً سالباً جانباً من حرارته . ولا يخفى انه اذا اتسع السطح الذي يصعد البخار عنه كثرت البرودة المتولدة من ذلك . وفي البطيخ الناضج حبوب صغيرة فيها ماء ويحيط الماء بها فاذا وضعت في الشمس كثر صعود البخار عنه لكثرة ما يتعرض منه للتبخير فيسلب جانب كبير من حرارته فيبرد كثيراً

(٥) الوسكي والبصل

ومنه . اصحح ان الوسكي مستخرج من ماء البصل وهل هو افيد المشروبات الروحية بعد البيرة والتبند

ج لا يستخرج الوسكي من ماء البصل ولا هو نافع . واذا وقع التفاضل بينه وبين البيرة والتبند فيكون في ايها اكثر ضرراً اواقل ضرراً . ويستخرج الوسكي غالباً من استقطار الشعير والذرة والارز والبطاطس

واكثر المواد التي فيها نشاء او سكر ولا يتعذر استخراجهُ من البصل لان في البصل مادة نشوية . وعند الاوربيين شراب آخر اقوى من الوسكي يستخرج من جذور الجنطيانا وهي نبات ورقهُ مثل ورق البصل او بصل الفار ولعل مخبركم خلط بين هذا الشراب وبين الوسكي وخلط بين الجنطيانا وبصل الفار فقال ان الوسكي يستخرج من البصل

(٦) تحمين الخطابة

اسنا . الخواجا عزيز جرجاوي . ما هي احسن الوسائط لتحسين الخطابة

ج الدرس الكثير للاحاطة بالموضوع من كل جهاته والتمرّن الكثير على الخطابة حتى تصير ملكة في النفس والاعتماد على رجل يعرف محاسن الخطابة ومذامها يرشد الى مواقع الخطأ ويساعد على اصلاحها كل ذلك لازم للتبوع في الخطابة

(٧) الخطباء الضعفاء الصوت

ومنه . هل قام خطباء اشتهروا بالخطابة وكان صوتهم ضعيفاً

ج يحكى ان ديموستنس كان أكن ثم قوم لسانهُ بوضع الحصى في فيه لكن هذه الحكاية تفتقر الى الاثبات . وقد سمعنا جون مورلي يخطب في مجلس النواب الانكليزي فوجدنا صوته ضعيفاً على اشتهاره بالخطابة وسمعنا غيره من المعدودين بين الخطباء وصوتهم ضعيف لا يكاد يسمع على مئة قدم

ولكن الخطباء المشهورين حقيقة الذين
سمعتهم صوتهم جهوري نعيم او حاد رنان
وهو في الحالين قوي يبلغ السامعين على مئات
من الاقدام

(٨) عصب الريق

ومنه . اعرف خطيباً ينشف ريقه
عند الخطابة حتى يضطر ان يضع شيئاً من
الملبس في فيه ادراراً للعايه والا تعذر عليه
الكلام فهل من دواء لهذا الداء

ج ان عصب الريق وفيضانه ناتجان
عن فعل عصبي والغالب ان عصب الريق
ناتج عن الخوف او الهيبة حتى انك اذا امرت
السارق ان يتفل على الدقيق تعذر عليه
ذلك . ودواؤه الترن على الخطابة طويلاً
حتى تصير مألوفة ويزول الخوف من الناس
(٩) دعوى من بغى الناس

مسقط . الخواجا يوسف اسطفان .
قرأت اعلاناً للمسترهنس الاميركي في مجلة
ستندرد يقول فيه انه استغنى بالتجارة
بطريقة عجيبة وانه يود ان يغني كل من
يرسل اليه دراهم للتجارة بها كما انه قد اغني
كثيرين من اعتمدوا عليه وقدموا له دراهم
فهل ذلك صحيح

ج اذا كانت اقامة هذا الرجل في
الولايات المتحدة الاميركية فالاموال ترجح
فيها نحو اربعة او خمسة في المئة سنوياً ربحاً
يكاد يكون ثابتاً فاذا كان هذا الرجل بالغاً

حد الاستقامة فلا يحتمل ان يرجح الذين
يعتمدون عليه اكثر من ذلك ولكن يغلب
على ظننا انه غاش او مغشوش . والذي
يعرف طريقة للغنى يستعملها لنفع نفسه
(١٠) الاحكام العرفية

كندا . الخواجا جرجس حنا جرجورا .
كثيراً ما نقرأ في الجرائد قولهم وضعت
المدينة الفلانية تحت الاحكام العرفية فما هي
الاحكام العرفية هذه

ج اذا اضطرت احوال بلاد بسبب
ثورة داخلية او بدنو العدو منها حتى لم يعد
سكانها يخضعون لقوانين الحكومة اضطرت
الحكومة ان تعدل عن الجري على موجب
قوانين البلاد وان تنصرف حسبما تراه
مناسباً فتقبض على زيد مثلاً وتسجنه او تقتله
من غير مرافعة او محاكمة وهذه هي الحكومة
العرفية وقد تلجأ الى القوانين العسكرية فجري
عليها . وبعض الحكومات التي تفعل ذلك في
وقت الاضطراب او وقت الحرب تضطر ان
تبرر عملها وقتما يستتب الامن وتعوض على
الذين اوقعت بهم ضرراً . لنفرض ان اهالي
مدينة هاجوا وماجوا لسبب من الاسباب
فاراد البوليس ان يسكن هيجانهم فهجموا عليه
ورموه بالرصاص ثم هربوا من وجهه
وتحصنوا في البيوت القريبة فان الحكومة قد
تضع المدينة تحت الاحكام العرفية حينئذ
وتأمر البوليس باطلاق الرصاص عليهم من

غير محاذة وبحرق البيوت التي تحصنوا فيها ثم
مضى استتب الامن قد يضطرها مجلس الشورى
الذي فيها الى تبرير عملها هذا والى التعويض
على اصحاب البيوت التي امرت باحراقها

(١١) التدخين والعمر

مصر . الخواجا يوسف ابراهيم كوهن .
هل ثبت ان التدخين يقصر العمر واذا كان
ذلك صحيحاً فما هو سببه

ج ان التدخين يضر المعرضين
للأمراض القلبية بنوع خاص ولا يبعد ان
يقصر عمرهم وليس منه ضرر صحي كبير في
ما سوى ذلك ولا ثبت ان الذين يدخنون

اقصر عمراً من غيرهم . والافراط في التدخين
مضر كالافراط في الاكل والشرب والنوم
والسهر وكل شيء

(١٢) بزر الموز والقصب

ومنه . اننا لا نرى بزرّاً في الموز ولا
في القصب فاين بزر هذين النباتين
ج يكون في بعض الموز بزر صغير
داخل ثمره ولكن الاستمرار على توليد الموز
من الفسائل اضعف بزره جداً حتى لم يعد
يتولد منه . وكذلك القصب يظهر في اعلاه
زهراً وبزر صغير ولكنه لا يتولد منه بل
من العقل كما لا يخفى

بَابُ احْبَابِ الْعِلْمِ

اوجه القمر في شهر نوفمبر

يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٤	٣	٣٩ صباحاً
البدر	١٢	٧	١١ "
الربع الاخير	٢٠	٣	٣٣ "
الحلال	٢٩	٦	٤٧ مساءً

السيارات

عطارد نجم المساء الشهر كله
الزهرة نجم الصباح الشهر كله
المريخ يغرب بين الساعة ١/٢ و ٩ و ١٠
مساءً الشهر كله

المشتري يظهر الليل كله

زحل يغرب الساعة ١ صباحاً في اوائل
الشهر والساعة ١١ مساءً في آخره

مؤتمر السل الدولي

التأم مؤتمر السل الدولي في مدينة باريس
من ٢ الى ٧ أكتوبر وحضره جمهور كبير من
نخبة الاطباء من كل اقطار المسكونة . واهم ما
تلى فيه خطبة للاستاذ بهرنج مكتشف علاج
الدفتيريا قال فيها انه اكتشف علاجاً شافياً
لداء السل يشفيه كما يشفي المصل الندي

اكتشفه داء الدفتيريا. وقد قال انه جرب هذا العلاج في الحيوانات فوجد انه يشفيها من السل ويؤد ان يجربه غيره من الاطباء ايضا لئلا يكون مخطئا في حكمه ثم يجرب في الناس. وسنشر ترجمة خطبته في الجزء التالي وعرضت في المؤتمر امثلة كثيرة يظهر منها الفرق بين ميكروب سل البقر وميكروب سل البشر وميكروب سل الطيور ومقدار ضرر كل منها. وافيت الأدلة على ان الكلاب تصاب بالسل الرئوي والمعوي وان الكلاب التي تكون في البيوت ويلعب بها الاولاد قد تكون مسالوة فيعدون منها لاسيا وان ميكروب السل يكون كثيرا في افواهها فاذا لحست ابدية اصحابها اوصلت اليهم ميكروب السل. ويكثر السل بنوع خاص في الكلاب التي تقيم في الحانات الكثيرة الازدحام الفاسدة الهواء وثبت ان الانسان يعدى بسل البقر وان ميكروبه اعدى له من غيره ويصل ميكروب السل اليه من شربه لبن البقر المصابة بالتدرن. وكل ذوات الثدي تعدى بسل البقر وبسل البشر ايضا. واذا دخل ميكروب السل جسم حيوان من غير ذوات الثدي تغير تغيرا كثيرا ولكن لا يتعدى ارجاعه الى اصله.

والصل الذي استخدمه الاستاذ دنس افاد في التدرن الجراحي الذي يصيب

المفاصل وظهرت له فائدة قليلة في علاج السل نفسه فيستحق ان تكرر التجارب فيه وشدّد الاطباء في وجوب منع الاولاد من الاقامة في غرف يقيم فيها المسالون وفي وجوب مراقبة اللبن الذي يستعمل في المدن وقالوا انه يجب على الحكومة ان ترافق اماكن اللبنة من وقت الى آخر. وانه لا يجوز للمدارس ونحوها ان تستعمل لبنا لم يثبت انه حليب من بقر سليمة من السل او لم يقيم قبل استعماله حسب طريقة باستور وسيقدم المؤتمر التالي في اميركا بعد ثلاث سنوات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

الثام في جنوبي افريقية كما ذكرنا في الجزء السابق فاجتمع اولاً في مدينة الراس وتلا رئيسه الاستاذ جورج دارون جانباً من خطبة الرئاسة وقد ترجمناه ونشرناه في هذا الجزء وتلا بعض رؤساء اقسامهم خطبهم ثم ضرب اعضاؤه شمالاً الى ان وصلوا مدينة جوهنسبرج فتلا الرئيس فيها القسم الثاني من خطبته وتلا غيره من الرؤساء خطبهم وسنشر بعض ذلك في الاجزاء التالية

وختم الاجتماع في مدينة جوهنسبرج وانتخب الدكتور راي لنكستر رئيساً للاجتماع التالي. ونقدم الاعضاء من هناك شمالاً وزاروا مناجم الذهب والماس ولما بلغوا مناجم

للادارة ١٦٩ ٣٢٢ جنيهًا
 للتفتيش والامتحان " ٢٥٩ ٩١٩
 اعانات للمدارس الابتدائية ١٠٩٥١١٠٤
 " لمدارس المعلمين ٤٨٩ ٨٤٣
 " للمدارس الثانوية ٢٤٢ ٥٠٠
 والباقي أنفق على المتاحف ومسح الاراضي
 التي لم تمسح بعد واللجان العلمية وما اشبه ذلك
 من الاغراض العلمية. فنفقات الادارة تبلغ
 نحو جزء في المئة فقط مما ينفق على التعليم

الاوتوموبيل في فرنسا

حازت فرنسا قصب السبق في انقار
 مركبات الاوتوموبيل حتى فاقت المركبات
 التي صنعت فيها المركبات التي صنعت في
 البلدان الاخرى في كل سباق جرى .
 وصناعة الاوتوموبيل فيها على ازدياد كل سنة
 ففي سنة ١٨٩٨ صنع فيها ١٨٥٠ مركبة ثمنا
 ٣٣٢٠٠٠ ثم زادت زيادة عظيمة حتى بلغ
 عدد ما صنع منها سنة ١٩٠٤ اثنتين
 وعشرين الف مركبة ثمنا ٧٠٤٠٠٠٠ جنيه
 اي ان الزيادة اكثر من ٢١ ضعفاً

وصدر منها الى الخارج سنة ١٨٩٨ ما
 ثمنه ٧٠٠٠٠ جنيه فزاد حتى بلغ ٢٠٨٠٠٠٠
 جنيه سنة ١٩٠٣ و ٢٩٦٠٠٠٠ جنيه
 سنة ١٩٠٤

ويقدر عدد الذين يعملون في معامل
 الاوتوموبيل في فرنسا باكثر من ٣٠ الف

الماس خطب فيهم السروليم كروكس خطبة
 بليغة موضوعها الماس فبين فيها كيفية عمله
 الماس الصناعي باشعال الكرديت ونحوه .
 وقد ابتهج السامعون بهذه الخطبة وطلبوا منه
 ان يعيدها لهم مرة ثانية فاعادها في اليوم
 التالي وسنشرها في جزء تال . وعاد الاعضاء
 الى السير في خمسة قطرات خاصة الى ان
 بلغوا شلالات فكتوريا في الحادي عشر من
 سبتمبر ففتح الاستاذ دارون الجسر الذي
 أنشئ فوق تلك الشلالات وقد وصفناه في
 الجزء الثامن من المقتطف وزاروا الجزائر
 الكثيرة التي في ذلك النهر ثم انقسموا الى
 قسمين قسم عاد بطريق مدينة الراس وقسم
 بطريق بيرا . ووصل بعضهم السويس ومرثوا
 بالقاهرة وكان معهم السركولن سكوت منكريف
 وكيل نظارة الاشغال المصرية سابقاً ورئيس
 قسم الهندسة في هذا المجمع فزار بهم القناطر
 الخيرية واراهم بالعيان ما وصفه لهم في خطبته
 باللسان

المعارف الانكليزية

بلغ ما انفقته الحكومة الانكليزية في
 العام الماضي على التعليم وترقية العلوم والفنون
 ١٥ ٧٩٥ ٥٣٨ جنيهًا انكليزيًا يقابلها
 ١٦ ٣٢٨ ٩٤٧ جنيهًا هذا العام منها
 ١٢ ٦٦٠ ٨١٦ انفقها مجلس التعليم وهو
 بمثابة نظارة المعارف وهي

والطلاق الزامي اذا زنت الزوجة او
ضربت زوجها ضرباً افضى الى جرحه جرحاً
بالغة او كسر عظم من عظامه او فقد عضو
من اعضائه او ضربها هو ضرباً افضى الى
مثل ذلك

وفاة ممثل مشهور

توفي السر هنري ارفنغ اعظم ممثل
انكليزي في هذا العصر . وكانت وفاته بغتة
بالسكتة الدماغية بعد تمثيل الفصل الاخير
من رواية " بكت " رئيس اساقفة كنتربري
الذي قتل في اوائل القرن الثاني عشر بامر
الملك هنري الثاني . ولم يلحظ احد من
اعضاء جوقه تغيراً في حركاته واشاراته ليلة
التمثيل مما ينذر بمرضه حتى آخر الفصل
الاخير حين كان يمثل موت بكت وكانت
عادته في تمثيل موته ان يسقط على المشهد
ولكنه هذه المرة سقط عند الدرج الذي امام
مذبح الهيكل حيث قتل بكت وفاه بالكمان
التي فاه بها بكت وهي " اسلم امري الى الله
في يديك يا رب في يديك " ومن غرائب
الصدف انها كانت آخر عبارة فاه بها السر
هنري في التمثيل . فانه بعد ان سقط على
المشهد وانزل الستار بقي منطرحاً على ظهره
فهرع اليه احد رجال الجوق ومس يديه
لينهضه فاذا هما باردتان فسأله هل انت
مريض فلم يجبه . ورفع الستار وانزل مراراً

نفس وعدد هذه المعامل ١٧٢ وعددها في
انكلترا ١١٤ وفي المانيا ٦٠ . وفي فرنسا الآن
نحو ٢٠ الف مركبة بين ايدي الاهالي

الطلاق في الصين

يطلق الصيني امرأته للعلل الآتية وهي
العقم والزنى وسوء معاملة والديه والنميمة
والسرقة والغيرة . واذا طُلقت امرأة جاز لها
ان تتزوج ثانية وجاز لها ايضاً ان تشكو زوجها
الى الحكومة اذا كان تطليقها مخالفاً للقانون
فيحكم عليه بالجلد ثمانين جلدة وارجاع زوجته
وقد يفترق الزوجان بالتراضي لاختلاف
في طبعهما ومزاجهما . واذا هجر احدهما منزله
فللاخر اختيار في قبوله ثانية او تطليقه .
فاذا كانت الزوجة هي التي هجرت منزل
زوجها عوقبت بمئة جلدة ولزوجها الخيار
في ان يستردها او يتزوج غيرها او يزوجه
من اراد . والمرأة التي تتزوج غير زوجها
الشرعي من نفسها بعد هجرها اياه وقبل
تطليقها منه تقتل خنقاً وهو عقاب الزانية
عندهم . واذا كان الزوج هو الذي هجر منزله
وجب على امرأته ان تقيم على تلك الحالة
ثلاث سنوات فاذا لم يأتها خبر منه في تلك
المدة طلقت باذن الحكومة وتزوجت ثانية
اذا شاءت . فاذا لم تنتظر ثلاث سنوات بل
هجرت منزلها ايضاً جلدت ٨٠ جلدة واذا
تزوجت جلدت مئة

والناس يصفقون له ولا يدرون انه لا يستطيع
التهوض من الاعياء . واخيراً استفاق
مضطرباً ووقف والتفت الى احد مساعديه
قائلاً "وماذا جرى" فاجابه ان الحضور
يطلبون رؤيتك فلا بد لك من كلمة تقولها
تتردد هنيئة ثم رفع الستار وفاه بكلمة شكر
للحاضرين

وكان الاعياء قد بلغ منه مبلغه فبدل
ملابسه وركب مركبة الى النزل الذي يقيم
فيه . وبينما كان يدخل القاعة عثر وسقط
ولكن احد ملازميه واسمه شبرد أقالهُ ولم
بدعه يسقط الى الارض فقال بصوت خافت
"ذلك الكرسي يا شبرد" وكانت آخر عبارة
نطق بها وهو يجود بنفسه ومات ولم تبدُ عليه
علامة نزع وال

والانكليز يحلون قدره كثيراً حتى
انهم اقروا على دفنه في كنيسة وستمنستر
مدفن عظمائهم وكبار كتبتهم وشعرائهم

الاشعاع من غير الراديوم

اكتشف الدكتور توماسينا الجينيقي انه
اذا كهر ب سلك بالكهربائية السلبية واحمي
فعل بغيره من المواد فعل الراديوم . وكذلك
اذا وقعت اشعة رنتجن على الجسم صار يشع
مثل الراديوم وبقيت فيه قوة الاشعاع بضعة
ايام . ثم رأى ان قوة الاشعاع موجودة في
كثير من الاجسام كالاثمار والازهار

العلم في حرب اليابان

أمر بحارة اليابان والجنود البحرية ان
يستقيم كل منهم قبل كل معركة بحرية ويبدل
ثيابه التخفية بثياب نظيفة حتى اذا جرح
لا تدخل مادة سامة في جرحه واعطي كل
واحد منهم قطع من القطن ليسد اذنيه بها
ومحلول حامض البوريك ليغسل عينيه به
من دخان البارود . فكانت نتيجة هذه
التحولات العلمية ان أكثر الجرحى برئوا من
جراحهم

نفقة بعض الكليات

يبلغ ما تنفقه كلية برلين على كل تلميذ
من تلامذتها في السنة ١٣ جنياً وباريس
١٤١/٢ وفيينا ١٥ وادنبرج ٣١ ١/٢ وهارفرد
٦١ وكولبيا ٩٤ وبابل ٥١ وبرنستون ٦٧
وهذه الاربعة الاخيرة في الولايات المتحدة
الاميركية

قوة شلال نياغرا

قدر مهندسو اميركا حديثاً انه ينصب
من شلال نياغرا ٢٣٠٠٠٠ قدم مكعبة من
الماء كل ثانية من الزمان وفي انحدارها من
القوة ما يساوي تسعة ملايين حصان يمكن
استخدام نصفها للاعمال المختلفة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثلاثين

شمول مذهب النشوء . للاستاذ جورج دارون	٨٥٧
الذهب	٨٦٤
اقدم الآثار الاشورية	٨٦٥
اقدم الآثار البابلية (مصورة)	٨٦٦
التلوتوغراف (مصورة)	٨٦٨
الهالة حول الراس	٨٧٠
معاهدة الصلح	٨٧١
الاحنضارات والقبريات . لعيسى افندي اسكندر المعلوم	٨٧٣
ماضي الاحياء ومستقبلها	٨٨١
عدد سكان العواصم الكبرى	٨٨٨
جزاء سنار	٨٨٩
السوريون في اميركا . ليوسف افندي جرجس زخم الريشاني	٨٩٣
تاريخ محمد علي باشا (مصورة)	٩٠١
الشيخ محمد عبده	٩٠٩

باب تدبير المنزل * مؤلفة ومؤلف غريب . النظافة والصحة . اثاث غرفة المائدة . العسل في البيت . تعليم الاولاد التوفير	٩٢٣
باب التفریط والانتقاد * تاريخ الدولة العلية . الكلية الشرقية . تاريخ بطرس الاكبر ومحاكمة الكسيس . حقوق المرأة في الاسلام . جواهر البلاغة . الارشادات الوفية في القضايا الشرعية حسناء نيوبورك	٩٢٧
باب الزراعة * العلس . الزيتون وزيتنة	٨٣١
باب المراسلة والمناظرة * الرجوع الى الحق . داء الاسد . فنار بورسعيد	
باب المسائل * قوات الدول البحرية . الدولة العلية واليونان . الدولة العلية واسبانيا . برد البطيخ في الشمس . الوسكي والبصل . تحسين الخطابة . الخطباء الضعفاء الصوت . عصب الربق . دعوى من يغني الناس . الاحكام العرفية . التدخين والعمر . بزر الموز والنصب	٨٤١
باب الاخبار العلمية * وفيه ١٢ نبذة	٨٤٦
رواية فناة مصر ملخصة بالمقتطف	

الفصل الثالث والثلاثون

القرض الجديد

لورد بنشيلد — لقد نجحت مساعينا فوق ما كنا ننتظر فالفوز حليف اليابان برًّا وبحرًا والاسواق المالية تلقف سنداتنا تلقفًا ولا بدّ لنا من ان نبيع كل ما عندنا منها قبلما يعقد الصلح ثم نشتريها بعده لان فوز اليابان في ميدان القتال لا يضمن لها الفوز في ميدان السياسة والروس على ما نعلم من الدهاء فلو كان خصمهم فيها رجالًا من ملتنا مثل لورد بيكنسفيلد لوطننا النفس على الغلبة في السياسة

ناثان — أوكان بيكنسفيلد اقدر من الروس وادهي

لورد بنشيلد — نعم كان كذلك ولقد سمعت عنه بالامس قصة رواها كاتبه الاول لورد روتن بعد ان حفظها في صدره من عهد مؤتمر برلين قال . لما قرأ القرار على عقد المؤتمر كنت مريضًا من شدة ما قاسيت من عناء الاشغال وانا كاتب بيكنسفيلد وكان هو ايضا منحرف المزاج فاي ان يذهب الى المؤتمر ما لم اذهب معه . ولما قال لي ذلك وقعت في حيرة ولا حيرة الضب لم اشأ ان اتركه ولا كنت قادرًا على الذهاب معه . وبعد حديث طويل في هذا الشأن قلت له انني امضي واستشير طبيبي فان اذن لي في الذهاب ذهبت والا فلا . ففضيت واستشرت الطبيب وهو السر وليم غل فحصى مليًا ثم قال لي اذهب كمشير للورد بيكنسفيلد ولكن لا تعمل عملاً آخر . ففعلت حسب امره وذهبت ولم أصب بمكروه بل جادت صحي على ضد ما قدرت كأن الالهام بما جرى في ذلك المؤتمر انعش قواي وفعل فعل المنية والمقوي . ولما اخبرت لورد بيكنسفيلد انني ذاهب معه اشرت عليه ان لا نذهب مع لورد سلسبري وسائر رجال وزارة الخارجية بل نسبقهم ونمر على بركسل ثم نذهب الى برلين وحدنا فعمل حسب شورتني . وجاء لورد سلسبري برلين بقطار خاص ومعه اربعون موظفًا من نظارة الخارجية . ولم نكد نحن نصل الى برلين حتى ارسل البرنس بسمارك يطلب مقابلة لورد بيكنسفيلد . ولما اخبرته بذلك قال قل للرسول اني انا اذهب واره . وبعد نصف ساعة كنا في قهر ردزقل حيث البرنس بسمارك فدخل بيكنسفيلد اليه وبقيت انا في حديقة القصر في انتظاره ثم سمعت واحدًا يناديني باسمي فالتفت واذا انا بالكونت شوقالوف سفير روسيا في لندن وكان صديقًا لي فقال ما شانك هنا وكيف وصلت الى هذا المكان فقلت اني منتظر لورد بيكنسفيلد فقد اتى واخلى بالبرنس بسمارك . ولما قلت ذلك امتنع كأنه كان آتياً لهذا الغرض فسبقه

بيكنسفيلد اليه ولا شبهة في ان البرنس بسمارك عرف قدر بيكنسفيلد من تلك الساعة وعقد المؤتمر وجرى في اعماله وطلب الانكيار من الروس اربعة امور قالوا ان لا بد منها فقال معتمدو الروس انها امور هامة جداً لا يمكنهم ان يقبلوا بها ما لم يستشيروا القيصر ولا بد لهم ان يبعثوا بها اليه مع رجل من اكبرهم مقاماً . فتأجلت جلسات المؤتمر ثلاثة ايام او اربعة الى ان يمضي الرسول ويعود

وفي صباح اليوم التالي دخل بيكنسفيلد غرفتي وقال لي ان الروس لا يقبلون بهذه المطالب وقد صممت على ان نعود الى لندن باسرع ما يمكن حتي نصلها الاحد مساءً فانام واستريح ثم اقوم في الصباح واذهب الى قصر الملكة واعرض عليها نتيجة المؤتمر ثم نشر الحرب علي روسيا فديبر ما يلزم لسفرنا حالاً . فاحضرت جداول السفر ونظرت فيها فوجدت انه يستحيل علينا ان نصل الى لندن يوم الاحد مساءً ما لم نستأجر قطاراً خاصاً يقوم بنا من كولون وللحال ارسلت تلغرافاً الى ناظر محطة كولون لكي يعد لنا قطاراً خاصاً يكون في انتظارنا الساعة الفلانية

فادار ذلك التلغراف دفعة السياسة لاني التقيت في اليوم التالي بالبرنس بسمارك وهو في مركبة مفتوحة فقال لي اين لورد بيكنسفيلد فقلت له انه في النزل فقال هل يسهل علي ان اراه الآن . فقلت نعم . فاخرج ساعته ونظر اليها ثم قال الآن الساعة الرابعة الا اثنتي عشرة دقيقة وانا مدعو للمقابلة مولاي الامبراطور الساعة الرابعة تماماً واحب ان اري لورد بيكنسفيلد فهل تستطيع ان تدخل علينا الساعة الرابعة الا خمس دقائق وتنهيني لكي لا يفوت الوقت علي . فقلت له اني افعل وسرت معه الى النزل واريته الغرفة التي فيها بيكنسفيلد . وفي الساعة الرابعة الا خمس دقائق تماماً قرعت الباب عليهما ودخلت وكانا يتكلمان عن عدم انتظام التبليط في الشارع المعروف بولهم ستراس فاعندرت اليهما وقلت للبرنس بسمارك ان الساعة قد صارت اربعاً الا خمس دقائق وخرجت . وفتح الباب بعد دقيقتين وخرج البرنس بسمارك وصعد الى مركبته ومضى لكي يصل الى القصر الساعة الرابعة تماماً . ودخلت انا واعندرت الى لورد بيكنسفيلد عن دخولي عليهما فقال لا بأس بذلك وانا اعلم انك لم تدخل لغير داع ولكن حدث في هذه الفترة حادث في حد الغرابة فان البرنس بسمارك التفت الي بعد خروجك وقال " قل لي هل تصر انك تكثر علي هذه الامور الاربعة وتحسبها بمثابة بلاغ اخير " فقلت " نعم " ولم يكن كلامنا في هذا الموضوع بل في مواضيع اخرى لا علاقة لها به وفي اليوم التالي اجتمع المؤتمر اجتماعه الاخير و طال الاجتماع ساعين ثم فتح الباب وخرج

العمدون والروس في اولهم وبقي لورد بيكنسفيلد الى الآخر حسب عادته فسك بيدي وسرنا معاً ولم نبعد الا قليلاً حتى قال لي "لقد حدث امر لم اكن اتوقعه فان روسيا سَلَّت بكل مطالبنا". ثم علمنا ان تلغرافي فعل كل ذلك فان ناظر المحطة في كولون ارسل صورة منه الى بيمارك فرأى اننا عازمون على الحرب ان لم تسلم روسيا بالامور الاربعة التي طلبناها . وكان القيصر قد امر معتمديه ان يسلموا بكل ما تطلبه انكلترا ولا يشتبكوا في حرب معها فلما رأى بيمارك من تلغرافي ومن الكلمة التي سمعها من بيكنسفيلد اننا مصرون على عزمنا اخبر معتمدي الروس بذلك فسلموا حالاً . اما العمدة الذي ادعى انه ذهب لعرض الامر على القيصر فلم يذهب الا الى كوتنسبج ولم يكن ذهابه الا خدعة

هذا ما فعله بيكنسفيلد فغلب الروس في ميدان السياسة ولكنه لم يقدم عليه الا وهو واثق ان تركيا تمده بالرجال وان النمسا تحالفه على حرب الروس . وليس عند اليابانيين رجل يماثله ولذلك لا اعجب اذا خرج الروس منصورين في ميدان السياسة بعد ان دحروا في ميدان القتال ويجب ان نتنبه لذلك حتى اذا بدت لنا بارقة فوزهم السياسي اشترينا كل ما يمكن مشراه من اوراقهم المالية لانه لا بد من ارتفاع اسعارها حالما يعقد الصلح

نathan -- وما الرأي الان في هذا القرض الجديد الذي طلبته اليابان

لورد بنشيلد -- لا بأس به ولا بد من ائتماننا فيه هنا وفي نيويورك وبرلين . وسواء اخذت اليابان غرامة او لم تأخذ فان اسعار اوراقها تبقى مرتفعة الى قبيل عقد الصلح ولا سيما ما دامت جرائدنا وجرائد اميركا تطلب في مدحها . كم دفعنا يا مورييس لجرائد اميركا فتناول مورييس دفترًا نظرفيه ثم قال بلغ المدفوع حتى الآن نحو تسعين ألفاً يخرج منها تسعة وعشرون لجرائد باريس والبقية لجرائد اميركا وقد اشترينا نحو ثمانين في المئة من اسهم جريدة المساء ونصبنا هوغ على ادارة تحريرها

نathan -- هذه مبالغ زهيدة ولكن النفقات الكبيرة في روسيا . كم صار المدفوع حتى الآن مورييس -- نحو مئة وثمانين ألفاً ومير يطلب اموالاً أخرى

لورد بنشيلد -- لا بد من الاتفاق ومن لا يزرع لا يحصد . والخلاصة انه لا بد من الاكتمان بالقرض الياباني الجديد وحمل الروس على طلب الصلح والاستفادة من فوزهم سياسياً ولم يكذب هذا الكلام حتى قرع التلفون ونعي اليه ابن عمه البارون سلمون من قيثارات فجأة وخلف من الاموال ما لا يقع تحت حصر حتى يقال ان ثلث المباني في تلك المدينة النخيمة له فاطرق هنيهة وهو يقول في نفسه ماذا ينفع المال . ثم دارت المذاكرات بالتلفون

في سبب الوفاة والوقت المعين للدفن . وقد أثر هذا الحادث في نفسه تأثراً عميقاً فكان يجاوب
ذويه في مذاكراتهم وصورة الموت مرسومة امام عينيه وكأنها تخاطبه بقول الشاعر
وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوماً ان نردّ الودائع
وفتحت وصية البارون سلمون بعد ايام فاذا هو قد اوصى بمليون جنيه لتبني بها مستشفيات لمعالجة
الفقراء فرحموا عليه وهم لا يدرون ان تلك الاموال مبتزة من دمائهم ودماء امثالهم ولكنه
فعل خيراً من الذين يتزنون الاموال ثم يتركونها كلها لا ولادهم لينفقوها في الملاذ والمحارم

الفصل الرابع الثلاثون

الرجوع من السفر

دورا — هذه سفن الغواصين فنحن الآن امام عمان والبحرين من هنا يستخرجون اللؤلؤ
النفيس انظر ما اصغر مراكبهم وما ارق حاشيتهم ارايت افقر من هؤلاء المساكين وهم
يستخرجون اثنى الجواهر ولكن لماذا ادنونا من جزيرة العرب الى هذا الحد
هنري — لقد كنت افكر في ذلك الآن . نعم هؤلاء هم الغواصون الذين نُقِلَ اعناق ملكاتنا
واميراتنا بجواهرهم يعيشون في الماء وتفترسهم كلاب البحر ولا يكتسبون الا ما يسد الرمق
لكي نتحلى ربات الجمال وتنفاخر الغواني بالدرر الغوال ولكن اسمعي كيف يوقعون غنائمهم على
حركات مجاذفهم وقولي لي اهم انعم بالآ أم نحن . لا يكادون يتبافون من العيش تبلاً ونحن
جمع لنا ابونا ثروة طائلة تكفيننا ونكفي الوفاً معنا وقد زاد المبيع اليومي من اللندن نيوز
بواسطة هذه الحرب حتى فاق علي المليون وها انا وانت لسنا اصبح بدناً منهم ولا انعم بالآ
ومجموع الساعات التي يسر بها الواحد منا مدى عمره ليس اكثر من مجموع الساعات التي
يسر بها الواحد منهم ثم يأتي الموت ويساوي بيننا وبينهم فماذا نفضلهم . انظري عضلات
سواعدهم وصدورهم ما اكبرها وما اقواها لم ارب بين تلامذة اكسفر دج وكبر دج الذين نعدم
ابطال العصر لسبقهم في التجديف من عضلاته اكبر من هذه العضلات او اشد منها توتراً .
انظري لقد اوقفوا التجديف فقد هب النسيم البحري بعد ان سخنت اشعة الشمس اليابسة وهم
يرفعون الشراع . ما اسرع حركتهم رفعوه فامتلاً هواءً ويكاد هذا الزورق يلحق بنا لكنه
لا يريد الانفصال عن رفاقه . ابعدا عنهم لا شيء يضاهي البخار
وبينما هما يتكلمان دنا القبطان منهما فقالت له دورا ارايت زوارق الغواصين فقال نعم

رأيتها فاستغربت خروجها في مثل هذا الوقت وابعادها الى هذا الحد لان زمن استخراج اللؤلؤ فات وهو من ابريل الى آخر سبتمبر ولكن المرض الذي اعتراه قلل ما استخرج منه هذا العام فاضطروهم الملتزمون الى ان يصلوا الصيف بالخريف لكي يعوضوا عما نقص وانقضى ذلك اليوم والسفينة تخر في بحر رهو الى ان آذنت الشمس بالمغيب فتلبدت الغيوم وتكاثفت السحب حتى اظلم الجو ثم بدا على وجه البحر نور مستطير وانتشر حتى بلغ الافق فذعر الركاب واجتمعوا على ظهر الباخرة وهم يظنون ان نارا اضطربت في ماء البحر فتهلل وجه القبطان وقال لدورا رأيت هذا النور مرة واحدة قبل الآن وهذه هي المرة الثانية وقد حار العلماء في تعليقه واكثرهم على انه من الظواهر الكهربائية النادرة مثل الشفق القطبي فقالت ان العلماء يحيلون على الكهربائية كل ما يجهلون سببه كأنها صارت علّة العلل فقال ولا غرابة في ذلك بعد ان يتنوا لنا ان جواهر المادة نفسها دقائق من الكهربائية فاذا كانت المادة نفسها كهربائية فلا عجب اذا كانت ظواهرها كلها من نتائج الكهربائية وسمع بعض الركاب كلامه فجعلوا يتساءلون ويتباحثون فيه فقال احدهم ان هذه الظاهرة من ظواهر الكهربائية وقال آخر انها من الشفق القطبي وقال غيره ان مركوبي كهرباء ماء البحر ليسل به اشاراته التلغرافية . وقالت احدى السيدات ان اليابانيين كهبوا البحر لينسفوا بارج الروس واتصل الخبر بالخدم فذرعوا وهرعوا الى ظهر السفينة فعلت الجلبة وشاطط الطعام على النار واضطرب القبطان ان يأمر بتفرقهم ورجوعهم الى اماكنهم . وتدانت اذيال السحب فاستت البر والبحر وهطل الغيث مدراراً فزال النور المستطير وعصفت الرياح وتعلت الامواج فهرب الركاب الى غرف الجالوس وكان البارومتر قد انذر منذ يومين بنوء شديد فاتجه القبطان شمالاً لكي لا يدا في جزير سقطرى واخفى ذلك عن الركاب لئلا يقلقوا على غير جدوى ومرت تلك الليلة وكانت شديدة عليهم كلهم لم يروا فيها نجماً ولا قرراً واصبح الصباح والسماء ملغفة بالسحب واشعة الشمس تحاول اختراقها فيمتصها البخار امتصاص الرمل للماء فاضيت المصابيح الكهربائية واقام الركاب في اماكنهم يقرأون ويلعبون ويسمعون صوت نطق المطر تفرع كوى السفينة . ومراً يومان على هذه الصورة ثم زاد اضطراب البحر وقتام الجو ولم يكن الوسق كثيراً حتى يخففوه ولا كان خوف القبطان الا من الصخور المنتشرة حول جزيرة سقطرى فكان همه الا كبر اجتنابها وليس في الجزيرة منار يهتدى به فاقام على المرقب لعله يرى البر فيستهدي لكن السحب كانت تحجب كل شيء والدلائل كلها تدل على ان ذلك النوء واسع النطاق وقد يدوم يومين او ثلاثة فاسقط في يده وجعل يطوف في السفينة يتفقد

القوارب والعوامات ويوصي البحارة بالسهر واليقظ حتى اذا خافوا غرق السفينة انزلوا النساء والاولاد والعجزة في القوارب والبسوا الرجال انطقة العوم . وراه الركاب مضطرب البال فاجتمعوا حوله يسألونه فلم يخف عنهم انهم في خطر مبين وطلب منهم ان يستعدوا لملاقاة فعلت الضوضاء بين الركاب واسرع كل منهم الى امتعته يحمل منها ما غلا ثمنه وخف حمله واجتمعت العيال بعضها مع بعض وجثا اهل التقى منهم يتوسلون الى الحق سبحانه مشير العواصف ومسكن الرياح لكي يلطف بهم . وتذكر الآباء اولادهم والاولاد آباءهم والاخوة اخوتهم فعلت الحشرات وفاضت العبرات وقطع الرجاء من النجاة . وامسكت دورا باخيها وقالت له ما قولك يا هنري نجونا من رصاص البنادق لكي تقع فريسة للأسماك وكيف يكون حال والدينا بعدنا . فنظر اليها ثم الى البحر ولم يجز جواباً نظر اليها كمن سدت عليه مذهب ورأى الموت امام عينيه ولكن الامل بالحياة قوي في صدره . ثم حاول التحفيف عنها فلم يظاوعه لسانه فقال لا بدّ لم من انزال القوارب الآن لاني رأيتهم وضعوا فيها الماء والزاد فانزلي في قارب منها وانا اخذت عوامة حتى اذا امتلأت القوارب ولم تعد تسع احداً تبعتم سباحة ولا اظن اننا بعيدون عن البر اكثر من ميلين او ثلاثة وقد اعثدت السباحة فلا يعسر عليّ ان اسبح ستة اميال

وقبل ان يتم كلامه ارتجتفت السفينة ارتجاجاً عنيفاً وسمع صوت شديد من قعرها لانها اصابت صخرًا خرقها فاسرع البحارة الى الطلمات واعملوها ثم رأوا ان الماء الداخل اليها يزيد على ما يستطيعون اخراجه منها فامر القبطان بانزال القوارب وان ينزل اليها النساء والاولاد وبعض القادرين على التجديف . وتوسلت دورا الى اخيها لكي ينزل معها لانه من البارعين في التجديف فردّ مفضلاً ان ينزل غيره بدلاً منه وخلع ثيابه واستعد للحاق بها سباحة فامسكت به ولم تشأ ان تتركه وحده ويبتلي على هذه الحال دنا منها احد البحارة ورفعها بين يديه وناولها لآخر فوضعوها في القارب رغماً عنها ووقف القبطان والمسدس في يده لكي لا ينزل احد في قارب فوق ما يحمل لئلا ينقلب بالركاب كلهم واذا حاول احد النزول في قارب بعد ان يمتلئ رماه بالرصاص . فامتلات القوارب وسارت تتقاذفها الامواج ودورا وكثيرات مثلها ينادين اخواتهن وازواجهنّ مازجات الصياح بالنجيب والقوارب تعلو بهنّ حتى تكاد تقف على مؤخرها ثم تسفل حتى يحجبها الموج عن الانظار . وكان البر قريباً كما ظنّ هنري ولم يكن الا نصف ساعة او حوالها حتى نقشعت السحب ودنت القوارب من البر ورأها السكان الموكلين بحماية من يقع على جزيرتهم فاجتمعوا على الشاطئ والحبال في ايديهم ونزل

بعضهم في البحر وجعلوا يرمون الحبال ليسك بها من في القوارب فنجوا كلهم الا قارب انقلب
 بين فيه قبلما ابعد عن السفينة فلم ينج منهم احد
 وحالما وطئت رجل دورا البر تسلفت صخرًا عاليًا ووقفت على رأسه تستشرف البحر لعلها
 ترى السفينة او ترى اخاها اما السفينة فلم ترها مع ان السحب كانت قد انقشعت لان
 الامواج ابتلعها بعد مغادرتها لها بدقائق قليلة فزاد خفقان قلبها وشعرت كأنه كاد ينفطر
 في جوفها وارتجفت ركبتيها لكن جلد النساء وقت الشدة اقوى من جلد الرجال وكان الامل
 يزين لها ان اخاها في البحر يسبح على مهل لانه من امهر الشبان في السباحة ثم يزاحمه اليأس
 فيضيّق نفسها . وكانت حديدة البصر لم يتعب الدرس الكثير عينها فرأت عن بعد شيئاً
 خيل لها انه اخوها . كان وجدانها يقول لها انه اخوها وعقلها يقول انه قطعة من اخشاب
 السفينة او واحد آخر من الركاب الذين بقوا فيها وهم نحو مئة نفس فان صحّ ان يكون الشيخ
 اخاها مرة صحّ ان يكون غيره مئة مرة . وتضاربت هاتان القوتان العقل والوجدان لكن
 المرأة اخضع لوجدانها منها لعقلها والامل يحسم الاماني فيجعلها حقائق فلبثت في مكانها وقلبها
 يخفق خفقان امواج البحر الى ان دنا ذلك الشيخ منها ورأت معه ثلاثة او اربعة يسبحون
 ويغالبون الامواج فعرفت اخاها من قيصة الحمراء ومن ارشاد قلبها فلم تعد تشعر بقيامها على
 ذلك الشاطئ بل شعرت كأنها جزء من اخيها تصعد معه وتهبط الي ان دنا من صخور الشاطئ
 حيث تنتفس الامواج وترتد على اعقابها مرغية مزبدة فخافت ان تكون قواه قد خارت
 فنزلت عن الشاطئ وجعلت تعدو على الصخور لملاقاته وهي تقع ونقوم وشناغيب الصخور تدمي
 يديها وتمزق ثيابها وتبعها بعض الاهالي ويدهم جبل طويل ووصل اخوها حينئذ الى تيار
 بين صخرين كبيرين فجعل التيار يبعده اكثر مما يدينه ساعده اهالي الجزيرة يشيرون اليه
 يبعد عن التيار جنوباً وهو لا يسمع كلماتهم ولا يفهم اشاراتهم ومرت على دورا بضع
 دقائق كأنها بعضة اعوام رأت الموت متجسماً امام عينها وقد اتى ليخطف اخاها من بين
 يديها وهي ممسكة به تقول كلانا حي او كلانا ميت ولن اقابل والدي بدونه . وظلت تثب
 من صخر الى صخر ورشاش الامواج يلطم وجهها حاقداً حرداً ومخاوف الموت تترأى امامها
 فلا تزيدها الا جرأة وجلداً الى ان خارت قواها ونقرحت قدمها فوقفت تحاول خلع ثيابها
 لترمي بنفسها الى البحر فوقعت لا تعي على شيء . وكان بعض اهالي الجزيرة قد وصلوا اليها
 فحاملوها وعادوا بها الى البر وهي بين الموت والحياة

الفصل الخامس والثلاثون

ثالثة الاثافي

خادم — مدام واصف بك مشيعه لك لثذهبي حالا وتري ستي بهيه
استير — ما لها امس كانت عندي الخادم — يقولوا انها عمال تعيط هي وامها
فقامت استير حالا ووضعت برنيطة على راسها ومشت الى بيت واصف بك ودخلت
غرفة استير فوجدتها جالسة وعيناها تدمعان ولما رأت استير خنقتها العبرات وجعلت تشفق
والقت راسها على سريرها وكانت امها جالسة في جهة اخرى من الغرفة وهي تبكي ايضا فحارت
استير في امرها ودنت من مدام واصف بك اولاً واعنقتها وقالت لها قولي لي ما الخبر .
فاشارت الى جريدة مفتوحة امام بهيه فاخذت استير الجريدة تنظر فيها حيث تكتب المناهي
بين الخطين الاسودين فلم تر اسم احد تعرفه فانجنت وقبّلت بهيه وقالت لها قولي لي ما الخبر
ومن مات من معارفنا . فقالت بهيه بعد ان كفكفت دموعها انظري هذا التلغراف فانه يقال
فيه ان الباخرة اكاديا غرقت عند ساحل سقطرى وغرق نحو مئة من ركابها آه يا استير
ارسل هنري الينا تلغرافاً من بمباي يقول انهم مسافرون في هذه السفينة تخفق قلبي من ذلك
الحين والانسان قلبه دليله اندبي معي اندبي سوء حظي آه يا استير آه يا ربي ما هذه
المصيبة . وجلست استير اليها واعنقتها وجعلت الاثنان تبكيان واستير تحاول تصبيرها
بقولها ما ادرانا انهما ليسا بين الذين نجوا وهي لا تنصبر بل تقول الانسان قلبه دليله
وذهب احد الخدم بالركبة لمقابلة واصف بك وكان آتياً من الوجه القبلي وقد تأخر
القطار عن ميعاده نحو ساعة فعاد به الى البيت ولما دخله استقبله خادم آخر واخبره خبراً
اوقفه مضطرباً ثم قال للخادم متى كان ذلك فقال له منذ ساعة من الزمان والظاهر ان الست
الكبيرة وستي بهيه عرفتا قبلنا وهما تبكيان مع ستي استير في اوضة ستي بهيه
فدخل غرفته ونفض الغبار عنه وغسل وجهه ودخل غرفة ابنته فلما رأته عدن الى
البكاء فقال لهن لا احد يخالفكن في انها تستحق ان يبكي عليها ولكن كلنا نعلم انها استراحت
من الالم وما كان يمكن ان تطول حياتها اكثر من ذلك
فنظرن اليه مبهوتات وقلن له بلسان واحد من من تعني . وقالت استير حليلة حليلة
قال ابي في الصباح انها تحت رحمة ربها آه يا حليلة يا اختي حليلة
واجتمع الحزان فكانا اشد مما تحمله تلك القلوب . حالة تصورهما صعب والتعبير عنها
اصعب ولا يدركها الا من فقد حبيباً